7me Année No. 305

Lundi - 8 - 5 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

فى وزارة المعارف

تدريس اللغة العربية

فى الغرفات الكبرى من وزارة المعارف ضجة تمتد أسبوعين ما بين رجال الإدارة ورجال التعليم فى البحث عن أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية فى المدارس المصرية . والموضوع لخطره وقوة أثره يستحق هذه الضجة فى الوزارة، ويستوجب هذه العناية من الوزير، ويسمح لغير الرسميين من رجال القلم أن يصدعوا فيه بكلمة الحق التى لا توحيها رغبة رئيس ولا مجاملة مؤلف . فإن من القضايا المسلمة أن خيبة الوزارة فى تعليم الأدب العربي وقواعده كانت خيبة للنهضة الثقافية فى مصر الحديثة ، لأن الذين يتخرجون اليوم من العامة لا يملكون أن يقرأوا ؛ والذين يريدون التعليم من الخاصة لا يستطيعون أن يكتبوا ؛ فبقيت الأمة أمية فى عصر فرغت فيه الأمم من البحث فى الألف والباء ، والأفعال والأسماء ، لسبر أغوار المجهول من النفس والطبيعة

صحيح أن خيبة الوزارة عامة فى فروع الثقافة المختلفة ، ودرجاتها المتعددة ، لأنها إلى اليوم لم تستطع أن تخرج الإنسان المثقف الذى يعرف كيف يعيش ، ولا الرجل الموظف الذى يدرى كيف يعمل ؛ ولكنها لو كانت نجحت فى تعليم العربية لخلقت من تلامذتها قراء يكملون نقصهم بالدرس ، ويقوّون ضعفهم

بالاطلاع ، ويتصلون من طريق القراءة بالفكر البشري العام في مناحي تصوره وتطوره وإنتاجه . فإني أومن بأن معلم الشعب لغته هي أصل الأصول في ثقافته العامة ؛ فإذا صلح محا الأمية ، وخلق القومية ، وكون الأخلاق ، ووحد الميول، وقوى المواهب، ونشر المعرفة ، وروج الأدب ، ووسع النهضة ؛ وإذا فسد أصاب الأمة بنمط عجيب من الأمية المغرورة والجهالة السفيهة ، فيكثر العلماء ويقل العلم ، وينتشر الأدباء ويموت الأدب

* * *

منذ أن ذهبت ثورة الاستقلال بدنلوب وسياسة دنلوب حاول القائمون على أثره أن يرفعوا البناء فلم يرتفع ، ثم جهدوا أن يدعموه بتقارير الخبراء ومناهج اللجان فلم يندعم . ذلك لأنهم لا يزالون يبنون على أسس دنلوب وقواعده ؛ وأسس دنلوب وقواعده هي أولئك الموظفون المخضرمون الذين نشأهم المستشار على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة ، وأخذهم (بروتين) النظام حتى أصبح لهم فطرة . فإذا كان القيم على أمر الوزارة قوياً انطوت هذه الفئة انطواء القنافذ، وتركوا النشاط للشباب ذوي العلم والخبرة، فغيروا المناهج، وقوموا الخطط، ورسموا الغاية، وبدلوا الكتب، وبدأوا التجربة ؛ وإذا كان ضعيفاً بسطت سلطانها على كل إرادة ، ورجعيتها على كل تجديد ، فاحتبست الإرادات في الرءوس ، واستقرت الأنظمة في المكاتب ، وعاد الدولاب القديم يدور دورانه البطيء بالتأليف المريب لجواز الامتحان ، والتعليم الفج لبلوغ الوظيفة . لذلك لم يكن بد من قصور البنيان بين البناء والهدم ، وتذبذب الإصلاح بين الرأي والعزم ، وعجز المدرسة المصرية عن تنشئة الجيل الذي يكون له مع العلم خلق، ومع العمل ضمير ، ومع الشهادة إرادة . ومن أجل ذلك لا نبالغ في تقويم الفوائد المرجوة من هذه اللجان ما دام الأمر لا يخرج عن جلسات تعقد ، ومقترحات تناقش ، وتقريرات تقدم ، وقرارات تصدر ، ثم لا تبقى إلا بقاء الوزير في الوزارة

* * *

ليس من شأن المدرسة ولا في مقدورها أن تخرج الطالب عالماً يبتكر ويخلق ؛ وإنما شأنها وجهدها أن تخرجه متعلماً يقرأ ويبحث ؛ فإذا لم تصنع القارئ فإنها لم تصنع شيئاً . والقارئ الفطن من صنع معلم اللغة ، لأن القراءة أداة كتاب البلاغة ، واللغة والأدب قبل كل شيء تقليد ومحاكاة ؛ فواجبه أن يشوق الطالب بروائع الفن، ويغريه ببراعة الذهن، ويأخذه بدوافع التكليف حتى ينطبع على القراءة بالمران والعادة . ومتى أخذ الرجل يقرأ فقل إنه أخذ يعلم. فهل استطاع تدريس اللغة العربية في مدى مائة عام خلت أن يجعل مصر أمة قارئة ؟ قد تجيب مصلحة الإحصاء بأنه علم الخط كذا رجلاً في المائة ؛ ولكنها لا تحير جواباً إذا أردنا من القراءة التتبع والفهم والتحصيل . والقراءة بهذا المعنى هي الفارق بين شاب تعلم في المدارس المصرية ، وبين آخر درس في المعاهد الأجنبية

قضيت في تعليم العربية وآدابها خمساً وعشرين سنة لا أفترى على الحق إذا قلت إنها كانت مثمرة. ولعلها آتت هذه الثمار لأني على ما كان في نفسي من حب الأدب لم أتقيد بطريقة كتاب ولا نصيحة مفتش ولا نص منهاج . وقد لخصت تجارب هذه الحقبة في مقال نشرته بكتابي (في أصول الأدب) أستطيع أن أجمله في كلمتين : أن تكون طريقة المعلم استنتاج القواعد من الأدب ودرس الأدب في المطالعة ، وأن تكون غاية المتعلم قراءة ما يكتب وكتابة ما يقرأ. وسبيل ذلك كتاب ومعلم ورابطة. فالكتاب شرطه أن يكون أدباً ليصقل الذوق ويربي الملكة ؛ والمعلم شرطه أن يكون أديباً ليملك ما يعطي ويحسن ما يختار ؛ والرابطة بينهما هي الضمير الفني الذي يهدي إلى الحق ويغني عن المفتش . فإذا كان أمل الأستاذ الوزير قد تعلق بإحياء اللغة العربية وإذكاء النهضة الأدبية ، فليسيء الظن بالسياسة التقليدية التي اتخذتها الوزارة إلى اليوم في نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس ؛ وليبحث في الديوان وفي خارج الديوان عن الخبير الذي ينهج ، والكتاب الذي يشوق ، والمفتش الذي يوجه ، والمعلم الذي يسلك ؛ وليطهر التعليم من المدرس الذي يضع القواعد في أشجار وجداول، والمفتش الذي يعاقب على نسيان الهمزة وذكر الغزل، والمؤلف الذي يؤلف بسر الجاه ونباهة الاسم؛ فإنه إن فعل ذلك جاز لنا أن نعتقد أن هذه اللجان هي غير تلك اللجان ، وأن حدثاً جديداً يوشك أن يقع في الديوان .

احمد حسن الزيات

رســـالة الأديب

للأستاذ عباس محمود العقاد

في الرسالة التي صدرت (يوم ١٧ ابريل) كتب الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجي يقول: «إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد بل إنه عندها شيء وهمي لا وجود له ولا حساب»

ثم يقول: «إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعهم من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوّت عليهم النفع المادي والأدبي وجعلهم فئة لا خطر لها ولا وزن في نظر الدولة»

وفي الثقافة التي صدرت (يوم ٢٥ ابريل) كتب الأستاذ توفيق في هذا المعنى يسأل عن أدبائنا المعاصرين هل فهموا حقيقة رسالتهم؟ ويذكر ما يصنعه أدباء أوربا «كلما هبت ريح الخطر على إحدى هذه القيم – وهي الحرية والفكر والعدالة والحق والجمال – وكيف يتجرد كل أديب من رداء جنسيته الزائل ليدخل معبد الفكر الخالد ويتكلم باسم تلك الهيئة الواحدة المتحدة التي تعيش للدفاع عن قيم البشرية العليا»

ثم يقول بعد أن وصف سوء حال الأدب في مصر:

«أمام كل هذا وقف الأدب ذليلاً لا حول له ولا طول، وضاعت هيبة الأدباء في الدولة والمجتمع، وأنكر الناس ورجال الحكم على الأدب استحقاقه للتقدير الرسمي والاحترام العام. فالعمدة البسيط تعترف به الدولة وتدعوه رسمياً إلى الحفلات باعتباره عمدة. أما الأديب فمهما شهره أدبه فهو مجهول في نظر الرجال الرسميين ولن يخاطبوه (قط) ... على أنه أديب»

***

كلام الأستاذ الحكيم في هذين المقالين هو الذي ابتشى إلى التعقيب عليه فيما يلي من خواطر شتى عن رسالة الأديب، وشأن الأديب والدولة، ومستقبل الأدب في الديار المصرية أو في الديار الشرقية على الإجمال

١٢٠٥٧ ***

فهل من الحق أن الأدب محتاج إلى اعتراف من الدولة بحقوقه؟

أما أنا فإني لأستعيذ بالله من اليوم الذي يتوقف فيه شأن الأدب على اعتراف الدولة ومقاييس الدولة ورجال الدولة

لأن مقاييس هؤلاء الرجال ومقاييس الأدب نقيضان أو مفترقان لا يلتقيان على قياس واحد

فمقاييس الدولة هي مقاييس القيم الشائعة التي تتكرر وتطرد وتجرى على وتيرة واحدة

ومقاييس الأدب هي مقاييس القيم الخاصة التي تختلف وتتجدد وتسبق الأيام

مقاييس الدولة هي عنوان الحاضر المصطلح عليه

ومقاييس الأدب هي عنوان الحرية التي لا تتقيد باصطلاح مرسوم، وقد تنزع إلى اصطلاح جديد ينزل مع الزمن في منزلة الاصطلاح القديم

مقاييس الدولة هي مقاييس العرف المطروق، ومقاييس الأدب هي مقاييس الابتكار المخلوق

مقاييس الدولة هي مقاييس الأشياء التي تنشئها الدولة أو تدبرها الدولة أو ترفعها الدولة تارة وتنزل بها تارة أخرى

ومقاييس الأدب هي مقاييس الأشياء التي لا سلطان عليها للدول مجتمعات ولا متفرقات. فلو اتفقت دول الأرض جميعاً لما استطاعت أن ترتفع بالأدب فوق مقامه أو تهبط به دون مقامه، ولا استطاعت أن تثير القيمة في سطر واحد مما يكتب، ولا في خاطرة واحدة من الخواطر التي توحى إليه تلك الكتابة

ومن هنا كان ذلك العداء الخفي بين معظم رجال الدولة ومعظم رجال الأدب في الزمن الحديث على التخصيص

لأن رجال الدول يحبون أن يشعروا بسلطانهم على الناس ويريدون أن يقبضوا بأيديهم على كل زمان، فإذا بالأدب له حكم غير حكمهم، ومقياس غير مقياسهم، وميدان غير ميدانهم، وإذا بالعصر الحديث يفتح للأدباء باباً غير أبوابهم، وقبلة غير قبلتهم التي توجه إليها الأدباء فيما غبر من العصور

ولو بلغنا إلى اليوم الذي تعترف فيه الدولة بالأدباء لما اعترفت بأفضلهم ولا بأقدرهم ولا بأصحاب المزية منهم، ولكنها تعترف بمن يخضعون لها ويرضون كبرياءها ويهبطون أو يصعدون بغضبها أو رضاها

ـسنا فى مصر بدعاً بين دول المغرب والمشرق ، فما من دولة فى العالم تعترف بأمثال برنارد شو وبرتراند رسل ورومان رولان كما تعترف بالحثالة من أواسط الكتاب

* * *

هذا عن الأديب وشأنه المعترف به بين رجال الدول ، فماذا عن التفرق والتجمع ، أو عن أثر هذا أو ذاك فى تقويم أقدار الأدباء ؟

أصحيح أن الأدباء فى حاجة إلى الاجتماع ؟

أنفع من هذا وأقرب إلى تبيين الصواب أن تسأل : هل صحيح أن شاعرين يشتركان فى نظم قصيدة واحدة ؟ وهل صحيح أن مصورين يشتركان فى رسم صورة واحدة ؟ وهل صحيح أن الأدب فى لبابه عمل من أعمال التعاون والاشتراك ؟

الحقيقة أن الأدباء حين يخلقون أعمالهم فرديون منعزلون ، فلا حاجة بهم إلى محفل يسهل لهم الخلق والإبداع ، ولا فائدة لهم على الإطلاق من اتفاق أو اجتماع

والحقيقة أن التعاون إنما يكون فى مسائل الحصص والسهوم والأجزاء ، ولا يكون فى مسائل الخلق والتكوين والإحياء

لأن الفكرة الفنية كائن حى ووحدة قائمة ليس يشترك فيها ذهنان ، كما ليس يشترك فى الولد الواحد أبوان

فإذا كان تعاون بين الأدباء ، فإنما يكون على مثال التعاون بين الآباء

إنما يكون تعاوناً على رعاية أبنائهم وحماية ذرياتهم ، وقلما يحتاج الآباء إلى مثل هذا التعاون إلا فى نوادر الأوقات

فإذا اجتمع الأدباء فلن يرجع اجتماعهم إلا إلى حواشى الأدب أو « ظروف » الأدب كما يقولون دون الأدب فى صميمه

وإذا اجتمع الأطباء فهناك طب واحد ، أو اجتمع المحامون فهناك قانون واحد وقضاء واحد ، أو اجتمع المهندسون فهناك هندسة واحدة وبناء واحد ، فكيف يجتمع الأدباء كما يجتمع الأطباء والمحامون والمهندسون وكل أديب منهم نموذج لا يتكرر ، ونمط لا يقبل المحاكاة ، وأدب تقابله آداب متفرقات

وإن محامياً قديراً ليغنى عن محام قدير ، ولكن هل يغنى أديب كبير عن أديب كبير ؟ وهل ينوب خالق فى الفنون عن خالق آخر فى الفنون ؟ كلا . . . لن ينوب هذا عن ذاك ولن يختلط هذا بذاك ، كما أن الوجه الجميل لا ينوب عند عاشقه عن الوجه الجميل وإن اشتركا معاً فى صفة الجمال

كل أديب نمط وحده ، وكل أديب فى غنى عن سائر الأدباء إلا أن يتعاونوا كما أسلفنا فى الحواشى والظروف دون الجوهر واللباب .

* * *

أفللأديب رسالة ؟

نعم ، ليس بالأديب من ليست له فى عالم الفكر رسالة ، ومن ليس له وحى وهداية

ولكن هل للأدب كله رسالة تتفق فى غايتها مع اختلاف رسائل الأدباء وتعدد القرائح والآراء ؟

نعم . لهم جميعاً رسالة واحدة هى رسالة الحرية والجمال

عدو الأدب منهم من يخدم الاستبداد ، ومن يقيد طلاقة الفكر ، ومن يشوه محاسن الأشياء

وخائن للأمانة الأدبية من يدعو إلى عقيدة غير عقيدة الحرية

أفيدرى الأستاذ توفيق ما هو — فى رأيى — خطب الثقافة الإنسانية الذى يخشاه دوهامل ويشفق منه كتاب أوربا كافة على مصير الذوق والتفكير والفن والشعور المستقيم ؟

أفيدرى الأستاذ توفيق ما هو — فى رأيى — سر الفتنة الحسية التى غلبت على الطبائع والأذواق وتمثلت فى ملاهى المجون أو ملاهى الأدب الرخيص ؟

مرجعها الأكبر هو وباء « الدكتاتورية » الذى فشا بين كثير من الأمم فى العصر الأخير

لأن الدكتاتورية كائنة ما كانت ترجع إلى تغليب القوة العضلية على القوة الذهنية والقوة النفسية

ولأنها ترجع بالإنسان إلى حالة الآلة التى تطيع وتعمل بغير مشيئة وبغير تفكير

وأين تذهب المعانى والثقافات ، بين القوى العضلية والآلات ؟

وأين الأديب الذى يستحق أمانة الأدب وهو يبشر بدين الاستبداد ؟

لهذا بقيت عقول تكتب وقرائح تبدع فى الشعوب الديمقراطية ، ولم يبق عقل ولا قريحة فى بلد من بلاد الدكتاتورية

أعلام الأدب

نســـــاء يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

أكثر أبطال يوريبيدز وأقوام وأزخرهم بالحياة الصاخبة والمواطف المضطرمة المتضاربة هم من النساء . . . لقد كان ينظر إلى المرأة كما كان إبسن الأسكندناف ينظر إليها . . . كان يرى أنها محور الحياة وقطب دائرتها ؛ وكان يرى إلى الرجل بجانبها كأنه لعبة ، فهي لا تفتأ تلهو به وتتخذ منه ميداناً لنشاطها وفريسة لأهوائها ، فإذا أرضاها فهو هالك ، وإذا أسخطها فهو هالك ، وهو هالك إذا لم يرضها أو لم يسخطها ، لأنها تقف منه دائماً موقف السبع الجائع الذي لا يعرف إلا السطو والنهش وإهراق الدماء لا حبًّا في هذا كله، ولكن لأن هذا كله مركب في طبيعته وجزء من جبلته

ولعل السبب في هذا ما لقى يوريبيدز من التعاسة في حياته الزوجية ، فلقد كان الشك يمزق قلبه من ناحية زوجته الأولى التي اتهمها التاريخ بأنها خانت زوجها ، كما يتهم زوجته الثانية بأنها لم تكن أخلص له ولا أوفى من سابقتها ... والمؤرخون المحققون على أن التهمتين باطلتان ، ولو أن فيهما ظلاً من الحق لما أهمله أرستوفان عدو يوريبيدز اللدود ومعاصره ومتسقط أنبائه وممصى عثراته ... إلا أن قسوة يوريبيدز على المرأة ونظرته الصارمة إليها وما دأب على تحليل أخلاقها به في أكثر دراماته ؛ كل ذلك دليل على ما كان يتردد في أعماقه من أصداء حياته الزوجية ، تلك الأصداء التي كانت تتجاوب في شدة وفي صرامة وعنف في ثنايا دراماته ... ولعل أقوى هذه الأصداء جلبة وأشدها ضوضاء ما صور به بطلته البربرية[1] ميديا التي شغفها جاسون حبًّا فلم تبال أن تخون أباها وتذبح أخاها في سبيل الفرار معه ؛ ثم لم تبال بعد ذلك أن تذبح ابنيها لكي تشب سعيراً من الألم في نفس حبيبها الذي هو أبوهما لأنه أبغضها لكثرة ما رأى فيها من الميل إلى الأذى والتوسل إلى مآربها بسفك الدماء خصوصاً بعد إغرائها بنات بلياس بقتل أبيهن ... وكان عزاءها عن كل ما جنت يداها أن تقف على جاسون وهو يسفك روحه دموعاً بل دماً على ولديه فتشفي حرَّة نفسها وتدخل قلبها لأنه لن يبتسم للحياة بعد ، ولن ينعم بلذائذها بعد أن تركته وحيداً فريداً لا أنيس له ولا مواسي فيواسيه

لقد كان يوريبيدز جباراً في ميديا سنة ٤٣١ بقدر ما كان جباراً حتى في أرق دراماته وأروع مآسيه (هيبوليتس) التي غزا بها ميدان الحب الباكي الحزين ، والتي نال بها أول جوائزه الرسمية سنة ٤٢٨ أي بعد ميديا بثلاث سنوات . ومأساة هيبوليت هذه هي تلك المأساة الغرامية الأولى التي خلصت كلها للحب بعد إذ كان المسرح اليوناني لا يعرف هذا اللون من ألوان الدرام ... فكانت مفاجأة مربكة من يوريبيدز وثورة ، ولكن من النوع اللذيذ المحبب ، على تقاليد البيئة الجافية التي عرفت المسز جراندي قبل أن يعرفها العصر الفكتوري بثلاثة وعشرين قرناً ... فيدرا زوجة ثيذيوس الملك ، تحب ابنه هيبوليت الشاب الجميل اليافع ، لأنها هي أيضاً شابة جميلة يافعة ، ولأن زوجها رجل شيخ وإن كان بطل أبطال اليونان ! هذه هي المأساة ! ! فكيف يجرؤ يوريبيدز على تناول هذا الموضوع الغرامي الشائك في درامة تعرض على الجمهور الأثيني الذي كانت تسيطر عليه المسز جراندي الرجعية المحافظة الشديدة الحفاظ على آداب السلف الصالح ؟ وكيف يكون

(١) كان اليونانيون يطلقون على غيرهم من الأمم ولا سيما جيرانهم من أهل الشمال وسكان آسيا كلمة البربر ، وهم في ذلك يشبهون العرب حينما كانوا يطلقون على غيرهم كلمة الأعاجم وسنتناول ذلك في بحثنا (وطنيات يوريبيدز)

فإذا تعطلت الكتابة والإبداع بعض التعطيل في أمة ديمقراطية فإنما تتعطل من حالة فيها تشبه أحوال الاستبداد ، وهي انتشار الكثرة العددية بين جمهرة الشعراء ، والرجوع بالذوق إلى العدد الكثير دون المزية النادرة ؛ أي الرجوع به إلى « القوة العملية » لا إلى الحرية أو المزية الفردية

لكل أديب رسالة

ورسالة الأدباء كافة هي التبشير بدين الحرية والإنحاء على صولة المستبدين ، فما من عداوة للأدب ولا من خيانة لأمانة الأديب أشد من عداوة « القوة العملية » وأخون من خيانة الاستبداد .

عباس محمود العقاد

أجرأ من سقراط الذي كان لا يرى أن تشارك المرأة في الحياة العامة ، بل أن تظل حبيساً منسياً . بل كيف يكون مقاحماً أكثر من زكليس ممثل العصر ، وصاحب نهضته الفكرية ، ومن مدنيته ؛ وبالرغم من هذا كان يوصي أن تظل الفتاة قابعة في عقر دارها ، متجملة بسنن السلف وتقاليده ... لكن يوربيدز كان سوفسطائياً قبل كل شيء ، والسوفسطائيون كانوا (صناع الحكمة) كما تدل عليه كلمة Sophia التي تعني الحكمة أو Aretê أي الفضيلة ، والتي اشتق منها اسمهم Sophistes أي الناس الذين يتناولون البحث في الحكمة . وليس صحيحاً أنهم كانوا ثرثارين كما اتهموا بذلك ظلماً ، ولكن الصحيح أنه كان منهم العقلاء وغير العقلاء ، وكان منهم الكبار ، وكان منهم الأحداث ، وكان منهم الأغنياء وغير الأغنياء ، وكان منهم كل صنف من صنوف الشعب ؛ لكنهم كانوا جميعاً ينشدون الحق ، ويهدون الناس ، وينشرون النور ، ولا يألون في سبيل ذلك مصادرة ولا نفياً ولا تقتيلاً . ويقولون إن يوربيدز كان يتأثر بسقراط ولو لم يختلط به ، وكان تأثره بالفيلسوف العظيم ينعكس في دراماته . كما قيل من أن شاكسبير كان يتأثر ببيكون ، وإن يكن ما يقال عن هذين يعدو حدود التأثر إلى حدود النحل . فالمبالغون من مؤرخي الأدب الإنجليزي يدعون أن أكثر درامات شاكسبير هي من تأليف بيكون ، وإنما نحلها شاكسبير نفسه ... ونحن ننفي أن يكون يوربيدز قد تأثر بسقراط في كثير أو قليل من أدبه . بل نرى أن عكس ذلك هو الذي وقع . فقد ذكرنا أن سقراط كان لا يذهب إلى المسرح إلا ليشاهد درامات يوربيدز ، وأنه لم تكن تفوته إحداها قط ولو كلفه ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء من جهد ومشقة . ثم أين نظرة يوربيدز إلى المرأة وما كان يجنح إليه في تحليل أخلاقها من عنف وصرامة ، من نظرة سقراط إليها ؟

لقد ألف يوربيدز أكثر من تسعين دراما كانت البطولة في أكثرها للمرأة . وقد ضاع من هذه الدرامات التسعين أكثرها بحيث لم يصلنا إلا تسع عشرة ، ومع ذلك فالمرأة البطولة الأولى في معظم هذه الدرامات الباقية ... ويأتي الرجل في المرتبة الثانية دائماً إلا في عدد قليل منها ...

لقد كان يوربيدز يقسو على المرأة في غير هوادة كما قسا عليها في ميديا وكما قسا على فيدرا كما سنرى فيما بعد ، فإذا لم يقس عليها عرض نواحي ضعفها التي نسميه الأخلاق وقتاً أو حناناً أو حفاظاً ونسميه السيكلوجية ضعفاً أو تلبية لنداء الطبيعة إذا كان هذا الضعف زناً أو مروقاً من ربقة الزوجية .

١ — في ميديا تذبح المرأة أخاها وتنثر أشلاءه من أجل لذتها ، ثم تغري بنات بلياس بقتل أبيهن من أجل الملك الضائع من زوجها ، ثم تذبح ابنيها اشتفاء — أو تشفياً — من هذا الزوج بعد أن تقتل زوجته الجديدة بالسم حتى تضع حداً لسعادته بعدها .

٢ — وفي هيبوليت تعشق الزوجة ابن زوجها ، فإذا أبى واستعصم ضاقت بها الأرض وذهبت لتنتحر ، ولكنها تخشى أن يدافع عن نفسه عند أبيه فيفضحها فتزور خطاباً تتهم فيه هيبوليت بأنه راودها بل هم بها بالفعل ، ثم تشنق نفسها بعد ذلك .

٣ — وفي ألستيس Alcestis (٤٣٨ ق . م) يصور لك أدميتوس الملك الأناني الذي يعشق الحياة ، حتى إذا كان لا بد له من الموت تقدمت زوجته لتفديه فيقبل الفداء ، وبذا تموت هي عوضاً عنه ويمضي البطل هرقل بعد ذلك ليعود بالزوجة من الدار الآخرة هيدز . فليس وفاؤها هذا وفاء إنما هو ضعف سيكلوجي لأنه حصل من أجل رجل دنيء أثر أناني

٤ — وفي هكيوبا (٤٢٤ ق . م) يعرض لك هذه المرأة العظيمة النبيلة زوجة بريام ملك طروادة بعد إذ حل بها ما حل من هوان وأسر ثم سبي ، وكيف تلقى كل ذلك بأجمل الصبر حتى إذا اشتد بها الضيق وذهبت لتعرض شكواها على أجاممنون عظيم الأغريق الذي آثر نفسه بابنتها كاسندرا ، تلك الفتاة التقية النقية التي احتفظت بعذريتها وتسامت بإنسانيتها حتى غدت نبية الطرواديين فيأتي الملك أجاممنون فيؤثر بها نفسه ويرغمها على أن تكون (حظيته !) إشباعاً لشهواته الوضيعة . . . ومع كل ذلك فإن الأم هكيوبا تصبر لهذه المحن ، وتتذرع بكل ما في طوقها من تجلد حتى إذا فاضت الكأس وسيقت ابنتها الشجاعة الصابرة بولكسينا إلى حيث يضحى بها فوق قبر أخيل كما طلب رعاع الجيش ثار ثائر هكيوبا ومسختها الآلام فصيرتها كلبة من وحوش جهنم الخرافية تتضور وتلهث ، فهي تسمل عيني بوليموستور وتذبح ابنيه لتثأر لآلامها .

٥ — وفى يون (٤٢٠ ق . م) يعرض لك يوريبيدز مشكلة غرام ورثًا بين كرزا Creusa بطلة الدرامة وأبوللو إله الشمس والموسيقى فقد أحبها الإله وفسق بها قبل أن تخطب على زوجها إجزوتوس فلما أجاءها المخاض خافت الفضيحة فطاشت ها الإله الفاسق وأخذ طفلها يون إلى دلفى حيث خبأه وراء ستائر المذبح فى سفط به شالها وبضعة أشياء أخرى . . . وبعد سبع عشرة سنة عاشها إجزوتوس وكرزا من غير ما ولد تمنى الرجل على أبوللو — فى دلفى — أن يرزقه وليا يرثه ، فقال له : إن أول من تلقاه حينما تخرج من هنا هو ولدك ... فلما لقى الرجل الشاب يون احتضنه وفرح به ، وعجب الشاب لهذا الرجل الذى يناديه كأنه ابنه؟ ثم تلقاه أمه كرزا فيكون بينهما من التشابه والحنان ما يحير الفتى؟ ثم ترى كرزا السفط فتعرفه وتذكر للفتى أنه سفطها وأنها هى التى أحضرته فيه إلى المعبد فيمتحنها الفتى بسؤالها عن محتويات السفط فتذكرها له جميعاً فيعانقها على أنها أمه، فإذا سألها عن أبيه ألهمها أبوللو الجواب الكاذب فتقول إنها كانت قد اتصلت بإجزوتوس فى أحد أعياد دلفى فحملت به . . . وإذ هى تقول ذلك إذا بكاهنة المعبد تبرز فجأة وتقول الحق الصراح عن نشأة الغلام وأنه ابن زنا من أبوللو ... فتضيق الدنيا بالزوجة وتذهب لتنتحر لولا أن يلقاها أحد العبيد فيشير عليها بأن تقتل الغلام فترضى . . أما يون فإنه يثور ويجدف تجديفاً مضحكا ضد أبوللو . . وتنتهى الدرامة بأن تتدخل مينرفا فى الأمر فتصلح بين الجميع وتهدأ العاصفة ويرضى الكل بالأمر الواقع !

فانظر كيف سخر يوريبيدز من المرأة وكيف استهزأ بالآلهة وفضح أبوللو ومعشوقته ثم أركس مينرفا رمز الحكمة فى بؤرة ذلك الضلال !

٦ — وفى النساء الطرواديات (٤١٥ ق . م) لم ينشئ مؤامرة ما ولم يحبك عقدة درامية ولكنه صور ضعف الأمهات الطرواديات إذ يذهبن إلى المعسكر الإغريقى يسألن القادة الظافرين أن يأمروا لهن بجثث أبنائهن ليدفنها بدل أن تترك بالعراء تنوشها الذئاب وجوارح الطير ومن غير أن تؤدى لها الفرائض الجنازية . وتنتهى الدرامة بأن يتدخل بعض القادة ممن تأثر بدموع الأمهات فيأمر بالأجساد فتحرق ويعطى التراب المتخلف عنها للأمهات ... درامة ضعيفة إلا أن يوريبيدز قصد فيها إلى شيئين . . . تصوير ضعف أولئك الأمهات وجبروت الظافرين من جهة ، ثم ذم الحرب والدعوة إلى السلام من جهة أخرى ، لأنه كان أول مبشر بالسلام عرفه التاريخ إذا استثنينا إخناتون المصرى) وسنعرض لذلك فى الفصول التالية إن شاء الله

٧ — أما فى إلكترا (٤١٣ ق . م) فيتناول يوريبيدز المأساة المشهورة التى رأينا إسخيلوس يتناولها فيفسر الحوادث ، ورأينا سوفوكليس يتناولها فيصور كيف كان ينبغى أن تكون الخاتمة لا كما تم من أمرها ... لكن يوريبيدز يتناولها على طريقته الخاصة ... إنه يقصد الناحية السيكلوجية ، ولذا فهو لا يبالغ فيصيب أورست بالجنون بعد قتل أمه كما فعل إسخيلوس ولا يبالغ فى تحميل العاطفة الإنسانية وإرهاقها بما لا تستطيع من ابتهاج بالقتل وفرح به وحض عليه كما فعل سوفوكليس ... لا ... إن يوريبيدز صنع ما صنعه بعده دستوفسكى الروسى فى قصته الجريمة والعقاب باثنين وعشرين قرناً من الزمان ... إنه جعل أورست يقتل أمه ويده ترتجف بحركة آلية لا إرادة فيها كما قتل روسكلنيكوف اليهودية المرابية العجوز ... حتى إذا تمت الجريمة عادت إلى نفس الفتى والفتاة مرارة عميقة لا هى من الندم ولا هى مما يشبهه ، لكنها مرارة التحسر لكل ما حدث ... ومرارة التحسر مما اضطرها إليه سياق الحوادث وتسلسلها.

٨ — وفى هيلينا (٤١٣ ق . م) يبنى يوريبيدز درامته على أساس فكرة المؤرخ ستاسيخورس الذى زعم أن هيلين التى تسببت فى حرب طروادة لم تذهب قط مع باريس إلى هذه المدينة بل ظلت طوال سنى الحرب فى مصر تعبث بملكها وتلهو به حينا حاول أن يتزوجها رغماً عنها ويقتل جميع الإغريق الذين ينزلون فى أرضه ... وتنتهى حروب طروادة وتضل سفينة منالوس زوج هيلينا طريقها فى البحر حيث ترسو على الشاطئ المصرى ويلتقى الزوجان فيعرف أحدهما الآخر ويفران بمساعدة أخت الملك إلى اليونان . ويعيب المؤرخون هذه الدرامة بخروجها مما عودنا يوريبيدز من أدب الواقع إلى أدب الخيال ؛ بيد أن فى الدرامة من تحليل أخلاق هيلينا ، تلك المخلوقة الخلاسية (لأنها ابنة إله وامرأة) اللعوب التى لا تعرف من مبادئ الأخلاق أو الفضيلة عشر معشار ما تؤثر من الحب ومغامرات الهوى ؛ فى الدرامة من هذا ومن تحليل أخلاق الكثير ما يغطى ذلك النقص الذى عابه المؤرخون

وكم كان ظريفاً من هيلينا أن تتحيّر أنكترا حينما عيرتها هذه بالعهر والالتواء الأخلاقي بأنها غير جميلة، ولو كانت كذلك وواتتها الفرص لما امتنعت من إتيان أضعاف ما أتته هيلين ؟ !

٩ — أما إلجنيا في أوليس فهي درامة عجيبة لأنها من هذا النوع الباكيري الجميل الذي تمتزج فيه المأساة بالملهاة، والدموع الحرار بالضحك الكثير . . ويقال إن يوريبيدز ليس مؤلفها بل تركها غير كاملة فأتمها شاعر آخر قد يكون ابنه[1] الذي أشرنا إليه في كلمتنا الأولى . . . والحقيقة أن في هذه الدرامة من الفن الجديد ما لم يعرفه يوريبيدز وما لم يعرفه المسرح إلا في عصر شاكسبير . . . وإلجنيا هي تلك الفتاة ابنة الملك أجاممنون قائد الحملة على طروادة والتي تنبأ الكاهن كالخاس بضرورة ذبحها قرباناً لآلهة الريح ليتحرك الأسطول . . . يزوّر أجاممنون رسالة إلى زوجته كليتمنسترا كي ترسل ابنتها للاحتفال بعقد قرانها على البطل أخيل فتذهب الأم مع ابنتها وتلقى أخيلاً بما يليق في مثل هذه الحال من الترحيب وتناديه بخطيب ابنتها فيدهش أخيل لأنه خالي الذهن من كل ما دبر ، وينقلب الموقف إلى التضحيك على أخيل فيثور، ثم يعرف الحقيقة ويأتي عبد فيخبر الملكة أن ابنتها ستذبح قرباناً لآلهة الريح فتحزن الأم وتبكي الفتاة ويقسم أخيل أن يحميها من هذه الفعلة . . . ثم يعلم الجنود أن أخيلاً هو الذي يحول بين سفرهم وبين ذبح القربان فيثورون ويهجم رجال (الميرميدون) عليه يحصبونه حتى ليوشكوا أن يقتلوه . . . وهنا تتقدم الفتاة فتحميه وتهب نفسها ضحية كريمة من أجل أخيل الذي تفضل روحه أرواح عشرة آلاف فتاة مثل إلجنيا[2] ولأنه خرج مغازياً في سبيل هيلاس . . . وتودع الفتاة أباها ثم تخرج باسمة راضية . . . وهنا يدخل رسول فجأة حاملاً بشرى طيبة . . لقد أنقذت ديانا الفتاة إلجنيا وطارت بها إلى بلاد البربر . . .

١٠ — أما إلجنيا في توريس (٤١٣ ق . م) فهي بقية قصة إلجنيا ؛ وفيها يعرض يوريبيدز لوناً صارماً من ألوان العراك الداخلي الذي يشب في نفس الفتاة بين السخط على قومها الذين أوشكوا يقتلونها لغير ذنب وبغير جريرة ، وبين حبها الطبيعية لوطنها هيلاس فخر الأوطان . لقد ذهبت بها ديانا (أرتميس) إلى ملك التوريين (غير الطورانيين) لتكون كاهنة لمعبدها هناك ، وقد أكرم الملك مثواها ، وعهد إليها بإعداد الغرباء لتحريقهم بالنار (لأن هذا كان دأب الملك ، فكل غريب أو أجنبي يحل بأرضه وخصوصاً إذا كان إغريقياً) أحرقه بالنار . ثم يحدث أن يكون أول غريب يعهد إليها بإعداده للتحريق هو أخوها وشقيقها أورست الذي طارده قومه بعد قتله أمه . . . لقاء هائل بعد سبعة عشر عاماً . . . تتحرك العاطفة ، وتترقرق الأحاسيس في الدماء . يعرف كل منهما الآخر فيبكي . . يا للمشهد المؤثر الذي يرتفع فيه يوريبيدز إلى القمة ! !

ثم تطلق الفتاة أخاها وتدبر له طريق الهرب إلى شاطئ البحر حيث القارب المعد لفرارها ، وحيث البحارة الأمناء !

* * *

هذه طائفة من نساء يوريبيدز عرضها في دراماته عرضاً شائقاً يمتزج فيه الشعر بالأخلاق بالسيكلوجية ، بطريقة أهاجت عليه البيئة الأثينية عامة ، ونساءها خاصة ، لأنها بيئة محافظة لم تتعود أن تُشرّح أسرار نسائها على المسرح على هذا النحو الذي انتحاه يوريبيدز فأخجلها وأغراها به .

وكم كان بودنا لو خلصنا لكل من هذه الدرامات بفصل خاص حتى نتفادى تشويهها بهذا العرض السريع لولا ما نتوخاه من عدم الإملال ، وما نخشاه من فتور نشاط القراء .

دريني خشبة

(١) هذا رأينا نحن ولم يقل به أحد من المؤرخين الذين نعتمد عليهم في هذه البحوث

(٢) ترجمة موتر طبعة دانت

التفاؤل والتشاؤم أيضاً

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا كان لقائل قولان: قول ينم عن تفاؤل، وآخر ينم عن تشاؤم، فليس من إخلاص الناقد للأدب أو للإنسانية أو للقائل أن يشير إلى اليأس فى بعض قوله وألا يذيع الأمل فى بعضه حتى ولو كان الأمل فى الأقل من قوليه؛ فإذا كان الأمل فى أكثر القولين أو إذا تعادلا كان إخلاص الناقد أقل. ومعاذ الله أن أقول إن الدكتور أدهم غير مخلص للأدب، وإنما يجيء البعد عن الإخلاص من الإسراع فى النقد من غير تدبر لهذه الحقائق أو من قلة التقصى والبحث التى هى صفة عامة فى الناس تظهر فى أحكامهم على أكثر الأمور. والناس فى ذلك سواسية لا فرق بين عادل وظالم، ورفيق وغير رفيق، وعاقل وغير عاقل. وإنى أجل حكم الأديب الفاضل على هذه الصفة العامة فى الإنسان وأقول إنه إذا كان لقائل قولان، وكان أحسن قوليه فى التفاؤل فمن الواجب إذاعة هذا القول ولاسيما أنه ليس تفاؤله بالقليل المنزور. ولا عجب أن منصفاً يقول إن ما ذكرنا من الشواهد ليس من أحسن ما قلت؛ وسواء أكان فى نفسه حسناً إذا قورن بقول غيرى أم غير حسن، فهو إذا قورن بما وصفه الناقد بالتشاؤم فى قولى أجود وأحسن وأليق بأن يذاع إذا كانت هناك ضرورة للإذاعة والنشر والنقد، ولم ير الناقد أن من الخير إنذاره كله بما فيه من جيد ورديء، ومن تفاؤل وتشاؤم. وفى قولى من الرديء ما أسفت لنشره.

ولم أذكر جميع الشواهد والقصائد التى تثبت ما فصلته فى مقالى السابق، فنى قصيدة (مصارع النجباء) أيضاً أمل وتفاؤل وطموح ومنها:

إن الحيـــاة جمالها وبهاءها هبة من النجباء والشهداء
لولا طماح الخالدين وعزمهم بقى الورى كالتربة الغبراء
الخالدون بكل مجـــد خالد سامى المنال كمنزل الجوزاء
الشائدون الهادمون ذوو النهى والعقل أعظم هـــادم بناء
الخالقون المهلكون الشارعو ن المرسلون بآية غراء

(*) ذوات الخلق فى المقال السابق صحته ذوى أى الذين أصابهم خلق الحز.

خيالهم وفعـــالهم ودماؤهم مثل الهدى وكواكب الإسراء

وأرجوزة (قوة الفكر) وقد نشرت فى المقتطم وفى الجزء الخامس تدعو إلى تقديس مظاهر الفكر فى الحياة والتفاؤل حتى بالخطوب التى يسببها الفكر ومنها:

إن الخطوب سنة التجدد فلا ترع من سهمها المسدد
وأول الفكر الكبير خطب ثم يظل خـــيره يرتب

وقصيدة (عبث الشكوى) فى عنوانها ما يدل عليها. وقصيدة (أبناء الشمال) تدعو إلى السعى والعمل والأمل ومنها:

هم لداعى السعى والآ مال عمال عجـــال
تعرف البيـــداء مسعا هم وتنبيك الجبـــال

وقصيدة (صوت الله) تدعو إلى الاطمئنان إلى إرادة الله فى الحياة وإلى الاتجاه إليه ومنها:

وإنمـا نفـس الفتى معبد يضيئها الله بنور عميم

وقصيدة (جهاد المصلحين) تصف ما يعترض الناس عامة من ترك آمال الإصلاح ومساعيه وتدعو إلى التشبث بها ومنها:

ترى دنس الأشياء رؤية آلف يرى أن أحلام النفوس لغوب
يظن جهاد المرء فى العيش ضلة وأن مساعى المصلحين تخيب
يرى أن خير الكون ما هو كائن ووحى النفوس الساميات ضريب
ويحسب أن الشر ضربة لازب وأن أساليب الحيـــاة ضروب
ويصبح فى مجرى الحوادث ريشة تجوب به الأيام حيث تجوب
ويطفئ نور النفس حتى كأنما دواعى النفوس الساميات عيوب
فلا تعجبن إن الشرور كثيرة ولكن يأس العاملين عجيب

وقصيدة (سنة العيش) تصف أمل المصلحين فى أن تلطف طباع الحرص والشر فى النفس وتصف كيف أن فشل المصلحين ينبغى ألا يصرف عن الأمل ومنها:

طبع قديم سينضو المرء خلته
مثل الأديم نضته صمة الصمم[1]
لا بد من فشل من بعده فشل
حتى يفيق سواد الناس من صمم
لا يسعد الناس من الحرص سنتهم
حتى يطهر داء الحرص بالندم

(1) الصمة الحية: أى يخلع المرء طابع الحرص كما تخلع الحية جلدها

وقصيدة (البطل المنتظر) تصف
صلاح أمور الناس وتصف
تفاؤلهم وأملهم وعملهم بعد
الركود واليأس ومنها :

تمر دهور والحياة كآجن
أمرّ وقدما كان وهو طهور
إلى أن يحل الغيث حبوة مائه
فيترع منه جدول وغدير
كذلك حال الناس فالناس آجن
مرير وماء السابقين نمير
وبارقة تجلو الظلام وصاعق
يشب لهيباً والأنام تثور
فيضطرم القلب الذي كان خامداً
ويصبح روض النفس وهو نضير
وتعظم نفس المرء حتى كأنها
عوالم فيها الكائنات تدور

وقصيدة (الإيمان والقضاء) تصف أثر الإيمان في بث القوة والأمل في النفس ومنها :

كنف مانع وظل ظليل
وشراب يشفي أوام الظماء

وهناك مقطوعات كثيرة مثل :

كل ما في الوجود مما يريق الـ
دمع أو يستثير شجو الرحيم
كل شر مهما تعاظم لو قيـ
س بشأن الوجود غير عظيم

فليست التفاؤل عقيدة أعظم مما في هذين البيتين . وقصيدة : (الحياة والفنون) . كلها تفاؤل بجمال الفنون في الحياة ووصف

من برجنا العاجي

كلما ارتقى فكر أمة انصرفت إلى إتقان الصناعة وحذق الوسائل الفنية، وشعرت في الحال بافتقارها إلى المواد الأولية. فالصناعة غول فاغر فاه يريد أن يلقف أكبر مقدار من المادة ليحيلها إلى خلق جديد له وزن وثمن . أما الأمم العادية فهي مشغولة في أغلب الأحيان بإنتاج المادة الخام

كذلك الحال في دولة الأدب والفن . فإن الأديب أو الفنان قبل أن يصل إلى مرحلة الانقطاع للفن والصناعة يكون شأنه شأن عامة الأفراد : يعيش الحياة المفعمة بشتى الحوادث ، الزاخرة بألوان المادة الصالحة ، حتى يدعوه الفن إلى سمائه ، فإذا هو يرى أن حذق أساليب الفن وإتقان أسباب الصناعة أمر لا بد له من تكريس حياة بأكملها . فإذا هو قد انصرف عن حياة الناس العادية بما فيها من وقائع هامة وتافهة وأحداث هائلة أو حقيرة ، واعتزل في شبه « معمل » فني أو مصنع فكري يجوّد فيه وسائله ليملك ناصية ملكاته ، إلى أن يحس من نفسه أنه قد قطع في هذا السبيل شوطاً كبيراً وأنه قد غدا صاحب صناعة . فيلتفت فإذا أيامه التي قضاها في مصنع الفن قد فصلته عن الحياة الرحبة الصاخبة الزاخرة ، وإذا حياته الآن فارغة إلا من جواهر الفكر ولباب التأمل وتجاريب الصناعة العقلية أو الفنية . وإذا هو محتاج لاستعمال فنه وصناعته إلى مواد أولية لا يدري من أين يأتي بها . فهو تارة يرجع إلى حوادث الماضي فينسج من ذكرياتها تلك الأثواب الجميلة التي تخرج عن مصنع فكره وفنه . لقد لحظ ذلك مرة شارلز ديكنز فقال وهو في سن الستين :

« إني دائماً أتغذى وأغذي قصصي ومؤلفاتي بذكريات الطفولة والصبا ! ».

ما الأديب ذو الصناعة إذن إلا دولة صناعية في حاجة دائمة إلى المواد الأولية .

توفيق الحكيم

لجمال كل من الفنون الجميلة والفنون النافعة وأولها :

جمّلك الله يا حياة كما
جمّل وجه السماء بالشهب

والدعوة إلى بلوغ النفس غايتها بالطموح منتشرة في أكثر القصائد كما في قصيدة (على السرار) . ومنها :

وإنّ رضاء النفس ما ينبغي لها
وليس رضاء النفس ما هو كائن

وفي قصيدة أخرى :

والقلب يحمل بين جنبيه الذي
روعَ الغريب وراحةَ المألوف
إنّ الذي درس الزمان وفعله
لأجلُّ من حدث الزمان المونق
ويشيم أسرار الحياة بحكمة
تُهدي على المجهول والمعروف

وفي قصيدة (العظيم) وصف لاستنباط فضائل النفس من تجارب الحياة حتى تجارب الشر والشقاء . ومنها .

وفضائلٌ ليست لغير مُجرّب
إن التجارب حجة الرجحان
وأجلُّ خير النفس بعد بلائها
فالعيش حرب فضيلة النفلان

وفي قصيدة (الشمطاء الفتية) وصف للرجاء الذي هو عبادة وللاعتقاد الذي تزيده الأرزاء :

نصبٌ خالدٌ وأعظم منه
اعتقادٌ تزيده الأرزاءُ

ورجاءٌ هو العبادة والإيـ   ـمان درعٌ يرتد عنه القضاءُ

وقصيدة (العدل والكسب) تصف كيف أن الأمل والصبر أعظم حتى من العدل :

قطوبي لمظلوم رأى العدل معوزاً   قضى أن فوق العدل صبر المحارب

وفي (حقوق الفرائض) تقديم للفروض على الحقوق، وما تستلزمه الفروض من أمل وعمل :

لَنْ يبلغ المرء العُلَى بحقوقه   إلاَّ إذا بلغ العلَى بحقوقها

وقصيدة (البطل) تصف ما يكون من أثر الأمل والعمل في مجرى الحوادث والأقدار ومنها :

ترى الحوادث بالظلال أمامها   فترى خطى الأمر الذي هو آتِى

يا راكب الأيام تجرى تحته   مأمونة الخطوات والعداوات

إنَّ القادر تتحيك لأنها   رِيضتْ لديك بحكمة وحصاة

كالخيل تعرف رائضاً ومُذَلِّلاً   عند اعتقاد السرج والصهوات

وهذه الشواهد كلها شواهد جديدة لم نشر إليها في المقال السابق. ولو شاء الناقد الفاضل الزيادة زدناه ولكنا نختم هذا المقال بالأبيات الآتية أولاً في وصف أمل النفس في أن تتغلب جهود الشباب على طاغوت الحياة وهذا غاية التفاؤل :

ويُذَلُّ طاغوت الأمور فتغتدى   شرعَ الحياة شريعةُ الرحمن

وثانياً في وصف تفاؤل النفس واعتقادها فجراً للإنسانية مستقبلا :

وأمَّلتُ للدنيا صباحاً مؤجَّلاً   سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكل صباح رمزه ومثاله   ووعد به يحدو إلى الزمن النضر

نُسرُّ بنُعماه وإن لم تكنْ لنا   وننشده فيما يكون من الدهر

وثالثاً في وصف الاستبشار بقبول الشقاء لتحقق سعادة الإنسانية المقبلة :

أيفدح أن تقاسوا العيش محماً   ليُسْعدَ بعدكم صحباً وآلا

وكم من نعمة لولا شقاء   قديماً لم تكنْ إلا وبالا

فكم خَبَرَ الأوائل من شقاء   فنلنا من شقائهمُ نوالا

ورابعاً في أن السعادة واللذة شعور لا يستقيم إلا إذا شعر المرء بالألم :

لا يعلم السعد الشهيَّ وشهده   من لا تزود فؤادُه الآلام

وإذ أراد الأستاذ الفاضل زيادة من شعر التفاؤل فإنه يجده كما في قصيدة (حياة جديدة) ومنها :

تلك قلوبٌ كأنها قبسٌ   يضيء دجن القضاء والغيب

قد آمنت بالعلاء واعتقدت   كما يقتنا الإله في الحجب

وكما في قصيدة الباحث :

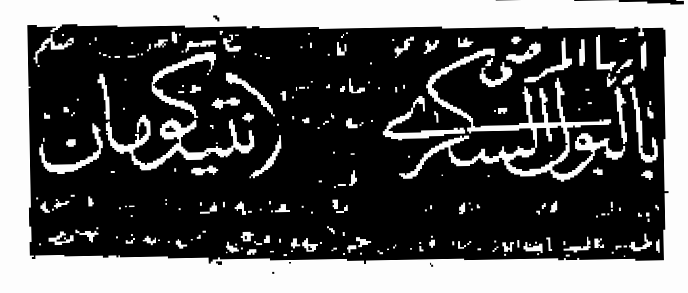
عشت دهري بالبحث والأمل الحلـ   ـو ولولاه لم أرح باستجاء

من سهام المنون إن صروف الـ   ـدهر فينا كثيرة الإصماء

أنشد الحق بالتقلب في العيـ   ـش وأبغى سريرة الأشياء

وقد قلنا قديماً إن في النفس البشرية قوة تستطيع أن تحول التشاؤم إلى غرض من أغراض التفاؤل، وإلى قوة من قوى الاستبسال في طلب الأمل (إنما اليأس سبيل المنى). ونعود فنقول إنه ليس من الإخلاص للأدب أو الأديب أو الإنسانية ترك أحسن ما في قول القائل. وهذا قول لا نتهم به الناقد الفاضل

عبد الرحمن شكرى



هتـــــلر

لأستاذ جليل

لو رام اليوم جرمانى مشغوف بهتلر أن ينشئ كتاباً كبيراً فى تقريظ إمامه وزعيمه جاهداً نفسه متوقاً محتفلاً فى كلامه مستنجداً ببلاغة غوته — ما استطاع عندى أن يأتى فى كتاب بمثل الذى قاله أبو تمام فى بيت . وسأروى بيت حبيب وأبياتاً ثلاثة قبله ، والشاهد هو ، وتلكم مقدمات نفيسات . قال ابن أوس النواس على المعانى :

قد علمنا أن ليس إلا بشق النفس (م)

صار (العظيم) يدعى (عظيما) (١)

طلب المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما (٢)

فتراه وهو الخلى شجياً وتراه وهو الصحيح سقيما (٣)

تيمته العلا فليس يعد البؤس (م) بؤساً ولا النعيم نعيما

وإن امرءاً ترك فى الدنيا هذا الدوى(٤) وبلغ بنفسه الكبيرة ما بلغ « من الرّفش إلى العرش(٥) » لعظيم حق عظيم ، كل العظيم(٦)

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعداً غير قائم (٧)

(١) شق : بالكسر والفتح ، وأكثر القراء على الكسر فى القول الكريم : لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس

(٢) تقضقض : تكسر . الحيزوم : الصدر

(٣) قالوا : شجاه يشجوه فهو مشجو وشجى ، وشجى هو — كرضى — فهو شج . وفى تشديد الياء وتخفيفها كلام كثير ، وقد ورد المشدد والمخفف

(٤) من قول المتنبى :

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وقبله بيتان معلومان : ولا تحسبن ، وتضريب أعناق ...

(٥) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ، والرفش بالفتح والضم . فى اللسان : « يقال للرجل يشرف بعد خموله أو يعز بعد الذل : (من الرفش إلى العرش) أى قعد على العرش بعد ضربه بالرفش . وفى التهذيب : أى جلس على سرير الملك بعد ما كان يعمل بالرفش وهذا من أمثال العراق » والرفش المجرفة يرفش بها البراى القمح ، المذلة

(٦) بعضهم يقول : عظيم بكل معنى الكلمة ، وهو كلام لا معنى له فى العربية عند التفتيش والتحقيق

(٧) إسحق الموصلى

وإذا تذكر المرء الفوهرر صيّوره(١) غشمشمين(٢) مخاطرين مثل بونابرته — كما يسميه الجبرتى — وغليوم زيل هولاندة ، وتدبر قول المهلب بن أبى صفرة ، الجملة الأولى منه : « الإقدام على الملكة تغرير ، والإحجام عن الفرصة جبن شديد » ونال بالتهويل وبالوعيد ، بالكلام لا بالمدفع والحسام أمانيّه ، وفارق الدنيا دون أن يحرقها ويحرق الإنكليز والفرنسيين وصحبه الطليان(٣) ويحترق — فإذا تذكر وتدبر وقام اللسان مقام السنان كان فوق الرجل العظيم ، كان (والله) عجيبة ، كان نبى الجرمان ، على أنه اليوم نبى القوم

وإنى لأنوه به تنويهاً لبطولته وعظمته وإن شمّ الشامة(٤) وقال فى أجناس الناس غير الحق . إنه من قادة الأمم العظماء ، لا من الباحثين الفاحصين العلماء ، وإن جهل ألمانى أو غير ألمانى أصوله الكريمة وأعراقه الدساسة ... فليرجع إلى كتاب الأنساب لغير السمعانى ، وليقرأ مؤلفات الأستاذ أرنست هيكل العالم الجرىء الجرمانى ، حتى يعرف متغطرس متنفخ من هو ، ومن جده وأبوه

إن هتلر من الزعماء لا من العلماء ، فقوله فى الأصل والفصل والجنس والنوع هراء يهرج ، المحقق لا يقوله

- وإنه والله يا أخا العرب ، على العلات لعظيم أىّ عظيم

ولقد ذكرنى خلائق فى ابن هتلر : إخلاصه ، وزهده ، وبطولته ، بأبطال كرام عظيمين من العربيين والمسلمين السابقين سادة الدنيا وهداة العالمين

محمد ! إبعث لنا واحداً من مثلهم ، واحداً من مثلهم !

(الاسكندرية) (***)

(١) صيوره : مآله ، عاقبته

(٢) الغشمشم : هو الذى يركب رأسه ، ولا يثنيه شىء عما يريد ويهوى

(٣) يقولون فى الشرق : أحرقهم الله جميعاً !

(٤) الشامة : الأسد العابس ، والشامة الكثير الشم

صلوات فكر

في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

---

٣ — الوسيلة

أيدري ناظر في الطبيعة ماذا يحدث أمامه كل لحظة ؟

الطبيعة تعمل أعمالها العظيمة المتعددة في كل لحظة .. تدير الأجرام ، وتبني الأجسام وتسكب الشعاع ، وتسوق الريح ، وتوزع الصورات ، وتملأ جميع القوالب ، وتعطي الإذن والمشورة والرأي لكل شيء ...

لا اصطدام ولا تناقض ولا فطور ولا صدوع . تجيب كل حي بلسانه وتكلمه وتوصيه وتوجهه وتلد وتدفن وتضحك وتعول . لا تنام ، ولا تستريح . قلبها لا يقف عن الدوران والنبض .. كل بذرة ، كل بويضة ، كل ورقة ، كل حشرة ، كل ذرة تحتاج إلى عنايتها وإرشادها ، وهي تعطي العناية والمشورة ولا تخطيء !

من يكذبني فليذهب إلى حديقة الحيوان بالقاهرة أو إلى أي حديقة مثلها ، حيث تجتمع فيها نماذج حياة الأرض ، ليرى ويسمع « الجوق » وهو يعزف « أوبرا » الحياة جميعها ...

إن حديقة الحيوان موضع عناية الله الباريء ! إنها عندي معبد أذهب إليه كثيراً بالجسم حين أكون في القاهرة ، وأذهب إليه الآن وأنا في العراق بالروح والفكر لأقف مع الأحياء جميعها أمام الله !

إنها معرض دائم للمنتوجات الحية المجموعة من كل مكان في الأرض . إنها حسنة من حسنات الإنسان لولا أنه فعلها غير مقصودة ، بل للهو والمتاع بدون فكر وروح ...

إن الملائكة يتفرجون بها أكثر مما يتفرج الناس ... ليروا فعل ربهم في غير عالمهم ... في عالم الطين ... إنهم يعجبون من تصنيف القلوب والشكول والعقول فيها ... وإن القلوب والطباع هناك أمرها عجيب . الأضداد والأعداء ينظر بعضها إلى بعض من خلال الأقفاص ويتعجب كل منها من هذا الوضع الشاذ في حياته . وترى تناقضاً بين ما في قلوبها وبين حياتها وهي مجموعة ينظر بعضها إلى بعض نظرات متدافعة من خلال القضبان ...

قف هناك طويلاً وانظر هيآت الأجسام والنفوس المتعددة ... أنظر محاريب العيون المختلفة وفكر : كم للدنيا من أشكال متعددة عند كل نوع من أنواع ساكنيها ... أنظر نظرات العيون المختلفة واسمع أصوات الحناجر المختلفة واستحضر روح سليمان بن داود مفهم الطير والبهائم والمردة ...

امسح على الجلود والريش والشعر والقشر وشق البطون والجلود وانظر الآلات التي تدور بها هذه الأجسام ...

أنقه شجاعة الأسد وجبن الفأر وحقد الثعبان ووداعة الحمل وشراهة الذئب ومكر الثعلب و .. قد خلق ربك كل هذا من طين يا أخي ! كل قلب من قلوبها يختص بصفة واحدة من الصفات التي جمعها في قلب الإنسان : خلاصة الحياة والأحياء والابن البكر للطبيعة ...

« حديقة الحيوان » تسمية أولى منها أن يقال « حديقة الحياة »

٤ — لمن هذا كله ؟

كل يوم تفرش الدنيا بالضياء أمام الإنسان ليسير ، وتسدل عليها أستار الظلام لينام ... وسواء أكان على الأرض قدم تسير أم لم تكن .. وسواء أكان على المهاد جسم ينام أم لم يكن ... فإن الآلات الإلهية تدور في دءوب عجيب وعدم اكتراث بالإنسان

فالصباح يشرق على العامل والباهل والنابه والخامل ، والمساء يستر السهران والنائم المكدود ، والربيع والخريف والصيف والشتاء تتداول وجه الأرض ؛ يحيا الإنسان ويموت وهي عاملة ماضية لا تبالي ...

فالدنيا تدور باطراد ويدور معها كل شيء لا فكر فيه ، ولا يتخلف إلا الإنسان فإنه قد يقف في مكانه حقباً تطول ، أو قد يدور دورة عكسية إلى الخلف ! لأن فيه قوة الاختيار ...

ويخيل للمتأمل أن الدنيا قد دارت « على الفاضي » كثيراً عند ما لم يعمل الإنسان عملاً يقدمه إلى الأمام ، وقد ضاعت قوى كثيرة من عمر الزمان سدى ... ضيعها جهل الإنسان وبطؤه في إدراك وجهة الحياة

فمن المنتفع بالحياة ؟ من الذي خلقت له الحياة ؟

هو الذى لا يضيع شعاع ضوء من أضواء النهار سدى ، ولا قطرة من ماء السماء سدى ، ولا بذرة من بذور الأرض سدى ، ويحتفل احتفالاً ليرى صنعة الله !

هذا الذى يأتى أمامه الإله العطايا فيلقطها فى يقظة بيتمتع ويتمتع ...

هذا الذى عرف قيمة الحياة هبة الله العظمى ! وأحسها إحساساً عميقاً وفكر فيها فكراً ، وأقبل عليها فى شغف إقبال الأطفال على « السينما » ... فرأى كل شىء ، وقرأ كل شىء ، ووضع قلبه وفكره على كل شىء ...

هذا الذى يستعمل مواهبه من الله ليُريه أثر صنعته العجيبة فى الإنسان ... وليؤدى دوره كاملاً بين الكائنات كما تؤدى أدوارها بقية جنود الله ...

هذا الذى يفكر ويأكل ويغنى وينتسب ويضحك ملء رئتيه ويبكى ملء عينيه ، ويلد ويدفن ويعمل بيده ويمشى برجله : أعنى لا يعطل شيئاً ولا يتمرد ...

هذا الذى لا يغلق حواسه عن جمال دنياه ... ولا يترك باباً من أبواب المعرفة إلا قرعه ودخل منه إلى سر من أسرار الله ...

هذا الذى تمثل فيه مجموعات الأحياء وينطوى فيه العالم الأكبر ...

كل شىء يؤدى خواص خلقته وتكوينه إلا الإنسان . فقد شغل من خاصته التى له وحده وذهل عنها دهراً طويلاً إلا أفراداً قلائل ...

فتشوا كم من الناس عاشوا كما يريد رب الحياة فى النوع ؟ مليون ؟ ثلاثة ؟ ألف مليون ؟

يا ضيعة الإنسان إن كانت نسبة « العارفين » منه فى جميع الأزمان كنسبة الذين نراهم الآن فى زماننا !

كلا ! سوف لا يدخل إلى الله إلا الذين عرفوه وعرفوا سر صنعته هنا ... أما غيرهم فيذهبون إلى جحيم الحرمان والنسيان . « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ... »

٥ — صور من الأوهام فى الغمام

أمامى الآن فى السماء دنيا كاملة من الصور والأشكال ... نمقتها الصدفة وحبكتها الأوهام ... كلها من وهمى وليس فيها من الحقيقة شىء ... لو أرادت عبقرية أى مصور أن تخرج مثلها لعجزت .. إنها دنيا من همسات الظنون وخفيات الأحلام فى نفسى . أنظر إليها ولا أمل كما ينظر الطفل إلى فقاقيع الصابون التى تكون وتنفجر فى لحظة ، وأجد راحة فى نفسى لا تنتهى ، ولا عمق لها

إنى أجد فى الأرض آثار النظام والإحكام والتحديدات والقوالب القاسية التى لا تسمح للخيال بالانطلاق وتكوين ما يريد . ولكنى أجد فى فوضى الغمام ومَزْج الصور فيه انطلاقاً وحرية فى تركيب الصور ، وفى ذلك ما يرضى ويشبع حاستى باللانهائية ويجعلنى غير خاضع لمنطق الصور الأرضية وأصول التجسيم

فعالم الأجسام والأحجام والصوَر الحقيقية فى الأرض هو عندى روايات تمثيلية يمثلها أُنس وحيوانات حقيقية ، وعالم أشباح الغمام كعالم الصور المتحركة التى يمثلها « ميكى ماوس » وأضرابه ، مما يعطى كل جماد وكل حيوان ونبات روح فكر ورمز وحركة وحياة

ولو كنت مصوراً لأخذت من تهاويل الغمام فى ساعة واحدة آلافاً من « رءوس الأفكار » فى أوضاع الأجسام وإخراج البدائع . ولا شك أن هذا هو أصل التماثيل الخرافية الأسطورية التى لم يتقيد صانعوها بما هو كائن حقيقى ولا بالقوالب المعروفة للأجسام . بل ركبوا متناقضات وجمعوا مفارقات وأخرجوها ليرضوا بها نزعات الانطلاق فى النفس الإنسانية زمان طفولتها

فيا عالم الانطلاق ! أنا أنظر إليك سجيناً بأغلالى وأصفادى مربوطاً بالعقل الأرضى والمنطق الإنسانى ... لم يشبع خيالى تنوع الصور الأرضية ولم أقف عند حد . وإنما فى نفسى إدراك عميق تام أن الصور التى عند ربى لا تنتهى

فأطلق اللهم خيالى من العالم « المتبلور » إلى العالم المائع الذى لا أجسام فيه ولا أحجام ... أطلق خيالى ولا تضيعه ! أسعدنى به على القيود مادمت قد حبوتنى هذا النزوع الحاد الدائم إلى الرحلة فى عجائب ما تصنع وما تستطيع أن تصنع ؛ ولا حد لاستطاعتك !

إن عالم الجمال الأرضي لم يملأ عيني ونفسي، ولم يزدني إلا تطلعاً إلى ما عندك مما خفي على قدرتي المحدودة. ولست طماعاً، ولكني أدركت السر الذي خلقت من أجله، فلن أنام عنه بعدُ، ولن أصبر، ولن أميت أشواقي وأطرابي إليه. وأقسم لك بجلال وجهك! إني ما قصرت في السعي لإدراك أمرك ولن أقصر... وكيف أخلق هكذا بصيراً ثم لا أسعى لأرى؟ كيف أبصر النجم العالي، والقرار الذاتي، والعقل الإنساني، ثم أقف عند حد وأتقيد بقيد؟ إن سر أمرك دائماً في أفكاري وفي أحلامي، ولا أملك غيرها من معنى الحياة. أما نوى العميق الخالي من الأحلام فذلك ما لا أملك من أمري...

«بغداد — الرستمية» عبد المنعم خفوف

المدرســـة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

لا شك عندي في أن كل من تناول بالتفكير بعض المشاكل الاجتماعية، لا بد يسلم أن أساس التفاهم الحق بين أبناء الأمة الواحدة هو التعليم الموحَّد. فلقد شهدنا ظروفاً لم يفرق فيها اختلاف التعليم، واختلاف طرائقه وأساليبه بين لهجة ابن مصر العليا، وابن مصر السفلى فحسب، بل فرق فيها ذلك بين أبناء القرية الواحدة إن لم يكن بين أبناء الأسرة الواحدة الذين وقعت بهم الظروف في أحضان معاهد مختلفة بين: مصرية أو أجنبية مدنية أو دينية. وما نشأت تلك الفرقة التي كثيراً ما تؤدي إلى الجفاء إلا من اختلاف نوع الثقافة، ذلك الاختلاف الذي يخلق عقلية خاصة يصحبها تفكير خاص ومناهج خاص. ثم إننا نجد على العكس من ذلك أن التعليم في المدرسة الواحدة يؤلف بين المتناقضين، ويقرب بين المتباعدين، ويوحد بين المتنافرين، لأنه يجمع بينهما في أهم وسائل التفاهم: اللغة واللهجة وطرق التفكير ووحدة طرق التنشئة. فترى الآن الصعيدي والبحراوي متجاورين في دواوين الحكومة متفقين متفاهمين كاتبين كانا أو قاضيين، مهندسين أو معلمين، مديرين أو وزيرين؛ حتى لا نكاد نعرف أيهما الصعيدي، وأيهما البحراوي، لأن المدرسة التي نشأ فيها كان لها الأثر الفعال في تنشئتهما تنشئة واحدة مهما كان نوعها.

فهل هناك إذن من سبيل إلى التوحيد والتفاهم غير المدرسة الموحدة التي سبق أن أثبتنا أنها السبيل الوحيد أيضاً إلى المساواة في الحقوق بين الجميع أو إلى الديمقراطية الصحيحة؟ إنك لا تجد مطلقاً أن من السهل خلق جو من التفاهم الأكيد بين الأزهري والأفندي كما لا تجد من السهل إيجاد تفاهم تام بين: المعلم الإلزامي وخريج دار العلوم، أو بين هذا وخريج معهد التربية. ولذلك نجد مشاكل وزارة المعارف لا تنتهي للخلافات المستمرة بين تشكيلة رجال التعليم الذين نشأوا في معاهد متعددة مختلفة الثقافة. ثم هل استطاعت وزارة العدل بما يملأ أرجاءها من العدل وبما تنشره من المساواة بين الناس جميعاً في الحقوق بحكم القانون أن تنشر جواً من التفاهم الصحيح بين القاضي الأهلي والقاضي الشرعي اللذين نشآ في مدرستين متباعدتي الثقافة! ألم تشغل طويلاً وزارة العدل ولا زالت تشغل بالخلاف القائم بين القاضيين الناشئين في الوطن المتباعدين في النشأة؟ وهل انتهى حتى اليوم شيء من الخلاف القائم بين خريج الأزهر الشريف وخريج الجامعة المصرية وخريج دار العلوم! وإذا كان وزراؤنا وكبراؤنا لا تعلمهم تلك المشاكل الطائفية التي تواجههم بسبب الاختلاف في الثقافة فإنهم على الأقل يضيعون الكثير من وقتهم ومجهوداتهم التي نحس أننا أحوج ما نكون إليها الآن في أمور تافهة أو ثانوية بالنسبة لما تحتاج إليه مصر من مجهودات في شتى النواحي العمرانية والاجتماعية. وما بال هذه الصيحات المتعددة بدعوة الزعماء والأحزاب والمتحزبين إلى المهادنة وضم الصفوف في الأوقات العصيبة التي نجتازها، فهل وجدت إلا إعراضاً وإهمالاً وإمعاناً في الخصومة؟ وإذا كان بعض المفكرين ينسبون ذلك إلى أخلاقنا فهلا يرى القارئ معي أن بعضه يرجع إلى الاختلاف الواقع في صفوفنا منذ نشأتنا النشأة الأولى في معاهد مختلفة الثقافة بعضها فرنسي وبعضها إنجليزي وبعضها مصري مدني والبعض الآخر ديني الخ! ألا إن تماسك الشعب المصري ووحدته المتمثلة في فلاحيه الجهلاء لتنهار وتتفتت إلى قوى متنافرة متخاذلة في قادته وزعمائه المتعلمين الذين رضعوا ألبان ثقافات مختلفة

فى معاهد مختلفة تفاوتت عقلياتهم وتفاوتت آراؤهم وأصبحوا أميل دائماً إلى الخصومة منهم إلى التعاون والائتلاف .

لقد أصبحنا فى أشد الحاجة إلى وضع حد لكل ذلك . ووضع هذا الحد لا يكون بالكلام والصياح ولكنه يكون بالعمل ، والعمل على التوفيق بين مختلف الطوائف والأحزاب أمر يصعب تحقيقه للأسباب السالفة الذكر فى جيلنا الحاضر . فلنضع إذن الحجر الأساسى لبناء جيل جديد دعامته التعاون والاتحاد . وتنشئة هذا الجيل الجديد لا تكون إلا بإيجاد المدرسة الموحدة ، ولن تكون لنا مدرسة موحدة ما دامت اللغة الأجنبية تفرق بين أبناء المدرسة الابتدائية وأبناء المدرسة الإلزامية والأولية والدينية .

ورد فى مؤلفى « التعليم والمتعطلون فى مصر » تحت عنوان « خلق الطبقات » ص ١٩٥ ما يأتى :

« فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة التى تتنازع أطفالنا (ويقصد بها الأولية والإلزامية والابتدائية والدينية الخ) تخلق أول تصدع فى بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة فى جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام؛ فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدى إلى الاشتراك فى الميول والرغبات ، ولا يمكن أن يؤدى إلى الاتحاد فى الفهم العام الذى هو أساس التفاهم بين الأفراد ؛ فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة . ولعل قيامه بهذا الشكل هو السر الأول فى هذه الفرقة التى نحسها فى ديارنا فى كل شىء . وطالما هو قائم فى هذه المدارس المتباينة التى نرى فى كل منها اختلافاً فى الطرائق والأساليب والمذاهب فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة فى الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون فى طريق واحد » . هذا ولقد دفعتنا العناية الكبيرة التى اضطررنا إلى توجيهها إلى التعليم الابتدائى فالثانوى تبعاً — إلى إهمال شأن التعليمين الإلزامى والأولى إهمالاً كبيراً تدل عليه تلك الإحصائية الواردة بصفحة ١٧٦ من مؤلفى السابق الذكر حيث ورد فيها أن تلميذ التعليم الابتدائى ينفق عليه ٤٤ جنيهاً فى العام وتلميذ روضة الأطفال ينفق عليه ٢٣ جنيهاً فى العام ، بينما تلميذ الإلزامى والأولى ينفق عليه جنيه واحد فى العام . وهذه تفرقة كبيرة جداً بل هى مؤلمة وليس لها من مبرر غير ذلك الهدف القديم الذى كنا نرمى إليه فى التعليمين الابتدائى والثانوى من حيث إعداد خريجيهما للوظائف والتوظف ؛ وهو هدف بدأ يزول من أدمغة القادة ولكنه مع الأسف لا يزال راسخاً فى أدمغة الطلبة وسواد الشعب ، ويجب أن نعمل على نزعه من تلك الأدمغة سريعاً بإزالة الميزات التى تمتاز بها المدرسة الابتدائية عن باقى مدارس الأطفال وإدماج الجميع فى مدرسة شعبية موحدة تخرج لنا الوطنى المستنير ذا التفكير الموحد ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بإزالة اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية . ولا ضير فى ذلك على اللغة الأجنبية لأنها ستعلم بعناية واهتمام وإتقان فى المدارس التى أبناؤها فى حاجة إليها وهى المدارس الثانوية ومدارس التجارة المتوسطة . أما طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة فهم فى غير حاجة إليها ولا يصح إثقالهم بتعليمها ، وهم فوق ذلك فى حاجة إلى صرف وقتها فيما هم أحوج إلى تعلمه من ضروب المسائل العملية المختلفة

وإذا كان هذا البحث وما سبقه قد اقتضيا من الوجهتين القومية والاجتماعية زوال اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية ، بل زوال المدرسة الابتدائية نفسها وإدماجها مع أترابها من المدارس الشعبية المخصصة للأطفال فإنى أعتقد أن بحث هذا الموضوع نفسه من وجهاته التعليمية والبيداجوجية البحتة فيما بعد فى الأعداد التالية سيؤيد هذا الرأى كل التأييد

عبد الحميد فهمى مطر

من أدب الغــــرب

للأستاذ فليكس فارس

كنت أقلب رزماً من أوراقي القديمة فعثرت على صفحتين خططهما قلمي منذ عشرين سنة حين كانت الحرب العامة ترمي على الدنيا آخر رجومها وتطرح بالأوشحة السوداء على هامات الأرامل والأيتام

وهأنذا أنقل للرسالة ما ورد في هاتين الصفحتين ، ولعل السريرة الخفية قادت يدي إليهما لتنشرهما في هذه الأيام ...

* * *

« هذه قصة كلها شعور وجمال قرأتها في إحدى الصحف التي ترد إلى غرفة الاستخبارات من المناطات الفرنسية المحتلة فوقفت عندها أنتصت منها إلى قلب الانسانية خافقاً على جبهات النار تحت وابل القنابل وعواطل الشرر

هذه صفحة كتبها إنسان بري' حساس تقوده العاصفة إلى المجزرة ليحيى قاتلاً أو قتيلا

هذه قصة جندي على جبينه جريمة الحرب وعلى قلبه صرخة الانسانية أترجمها وأطرحها بين دفينات أوراقي »

حلب في غرة يناير ١٩١٨ ف . ف

وكان يوم عصيب في تامور !

بذلنا كل ما في وسعنا من جهد في المعركة ونحن الآن نتوقع صدور الأوامر للعودة إلى النار

لم نتمتع بالراحة إلا يوماً واحداً فكفانا هذا التوقف عن العراك لنشعر بانحطاط قوانا وارتخاء أعصابنا

وصلنا إلى المعسكر فأشعلنا النار وقعدنا حولها ننشد بعض الأغاني العالقة بالذكر منذ الطفولة فيخيل إلينا أننا نعود إلى أوطاننا على نغمات هذه الأناشيد

وكان أحدنا يعزف على الأرمونيكا فيسود أنينها ما حولنا من أجواء عافية نحشد عليها تذكاراتنا وآمالنا

وشعرت بيد ناعمة اللمس تمر على جبيني وسمعت صوتاً مرتجفاً حسبته في غمرات تذكاري صوت أمي الشيخة العليلة تناديني من بعيد قائلة :

— مسكين ، الولد الصغير

والتفت فرأيت ولداً لا يتجاوز الخامسة من عمره يلبس جلباباً واسعاً وقبعة صغيرة وكان يحدق بالنار وعيناه السوداوان تتمعان وهو يكرر قوله :

— مسكين الولد الصغير

فهتف الرفاق : آه ! هذا فرنسي صغير .

وتقدم جندي شيخ إلى الطفل فرفعه وأجلسه على ركبتيه ، وبدأ يلاطفه ويلاعبه فزالت سحابة الخوف عن سحنة الطفل فإذا هو يضحك ويلعب .

وجاء وقت تناول الطعام فقدم الجنود له شيئاً من البطاطس ، وجرعوه قليلاً من القهوة ، وكنت الفائز باكتساب ثقته إذ قدمت له قطعة من الحلوى ، وكلمته بلغته فقال لي : إن أباه ذهب إلى الحرب ، وإن أمه ماتت منذ شهور . وكنت أترجم للرفاق حديثه ، وهو يورده بلغته ، ويدس في كلامه بعض ألفاظ ألمانية علقت بذاكرته منذ احتل الألمان مقاطعته ؛ وقال إن اسمه إميل بونيه فأسميناه كوكو الصغير .

ولما حان وقت انصرافنا إلى مضاجعنا تمسك الطفل بي طالباً أن ينام معنا فحملته وذهبت به إلى بيته .

وعند ما اجتمع الجنود في اليوم التالي رأيت الطفل يدخل في حلقتنا متفتشاً عني وهو يقول : كوكو الصغير .

وما كان وجود القائد بيننا ليمنع كوكو من القيام بحركاته ، وألعابه . وعندما ذهبنا إلى ضاحية القرية لإجراء التمرينات العسكرية لحق بنا حتى آخر حدودها .

وكان كوكو يباكرنا كل يوم فيقف مسلماً يرفع قبعته ثم يبادر إليّ ويمسك بيدي ليتبعني ، وأنا أمشي مع الفرقة . وبعد العودة من التمرين كان الطفل يدخل معي إلى مرقد الجنود ويلتف بطرف دثاري مستسلماً للكرى . وهكذا أصبح هذا الطفل يلازمني ملازمة خيالي؛ وما منعه تودد الجنود إليه من الاحتفاظ بتفضيله لي ، فكان يصافح رفاقي فرداً فرداً إلى أن ينتهي إليّ فيطوقني بذراعيه الصغيرتين ويقبلني تكراراً ، أنا الغريب . . . أنا العدو ! ويطرح جسمه الناحل على صدري .

وجاء يوم السفر . انتهت أيام الراحة وحان وقت العودة إلى الجهاد ، فقلت للطفل وكان جالساً أمامي في الباحة الواسعة عند المساء : غداً سأسافر

قلت هذا متكلفاً السكون وفى قلبى ثورة وغصص ، فهب الطفل من مقعده مصعراً هاتفاً :

— ولكنك ستعود

— لعلى أعود

— متى ؟ بعد غد ؟

— قد لا أعود أبداً

فصرخ الولد مذعوراً : أبداً ... لا . لا أريد ، فسوف تبقى وطوقنى بذراعيه كأنه يريد تقييدى

وامتنع كوكو ذلك المساء عن الذهاب إلى بيته فرجوت مربيته الشيخة أن تسمح له بالبقاء عندى فرضيت وقالت :

— إن أمه قد انتحرت شنقاً هنا وراء هذا الباب بعد سفر أبيه إلى الحرب ، إذ لم يقو دماغها الضعيف على مقاومة هذه الصدمة

وأمضى كوكو ليلته مضطرباً فكان يتقلّب ويهذى مردداً الاسم الذى لقبته به

وعند بزوغ الفجر نهضنا من الرقاد وبدأنا بإعداد لوازم السفر على نور الشموع المرتجف ، وكان كوكو جالساً يتتبع حركاتى وسكناتى بلفتاته الواجفة

ولما هممنا بالخروج هرع الطفل إلىّ قائلاً :

— ستعود

فأجبته متمالكاً روعى : أرجو أن أعود

وسحب يده الصغيرة من يدى وتولى . وبينما كنت سائراً مع رفاقى فى الساحة كان الولد يتقدم نحو مسكنه يتوقف أحياناً دون أن يلتفت إلينا

وتطمنا القرية بخطواتنا العسكرية فكانت تفتح النوافذ وتلوح منها أوجه المتفرجين عليها مسحة الوسن وفى الأعين جمود وبرود وشعرت بغتة بوصول قادم لقربى وهو يلهث تعباً ويقول :

— كو ...

وما تمكن الطفل المسكين من التلفظ بالمقطع الأخير من اسمه

ومددت يدى إليه فخنقته العبرات واندفع مرتمياً على منحدر التلة وغلبه الأسى فأخذ يفرك عينيه براحتيه

وناديته : أى كوكو الصغير

ولكن صوتى لم يصل إلى مسمعه إذ ضاعت نبراته فى صرخة القائد :

— هيا إلى الأمام !

واندفعت الفرقة إلى المجهول

الوداع أيها الصديق الصغير ، أيتها البسمة الأخيرة من ثغر الحياة ...

وبينما كان وقع خطواتنا يرن فى أذنىّ كنت أشعر بيد من حديد تربط على قلبى ، تلك يد الإشفاق على الطفل اليتيم وعلى الإنسانية وعلى نفسى !

هنريك أورلك
جندى من لاندشروم

* * *

من يعلم ما حل بهنريك أولك منذ عشرين عاماً ؟ لعله قضى قتيلاً يوم كتب هذا المقال . ولعله لم يزل حيًّا فى العقد الخامس من عمره ، وقد يكون ابنه جنديًّا فى هذه الفيالق الجوية فيؤمر غداً بإسقاط القنابل والغازات على المدن الآمنة

والحق أن الإشفاق قد بلغ حدًّا بعيداً فى آفاق الروح الإنسانية

لقد كان الرجال ينازلون الرجال حتى اليوم فتبقى النساء والأطفال فى مهامه الترمل واليتم . فعلى المدنية الراقية أن تحول دون هذه الجناية . عليها أن تخنق المرأة قبل أن تترمل والطفل قبل أن ييتم ... !

فليكس فارس

الدعاية الإســــلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأســـاتذة

عبد الفتاح السرنجاوى ، عمر الدسوقى ، عبد العزيز عبد المجيد

انتشار الإسلام فى الأمم المسيحية فى غرب آسيا

بعد وفاة محمد (ص) ، وجه أبو بكر الحملة التى قصد الرسول إرسالها قبل وفاته ، إلى بلاد الشام ، بالرغم من الاعتراض الذى أعلنه بعض المسلمين لأن أحوال الجزيرة كانت فى اضطراب . ولقد أسكت أبو بكر كل معترض على ذلك بقوله : « لن أبطل أى أمر قرره الرسول . ولو كانت المدينة فريسة للوحوش الضارية فلا بد أن تنفّذ الحملة رغبات محمد » . تلك كانت أولى الحملات المتتابعة العجيبة التى اكتسح بها المسلمون الشام ، وفارس ، وشمال أفريقيا ، محطمين أركان دولة الفرس القديمة ، ومكتسبين من امبراطورية الروم بعض أقطارها الخصبة الغنية . وليس الغرض من هــذا الكتاب أن نتتبع تاريخ هذه الحملات والوقائع المختلفة ، ولكن لما كانت غايتنا أن نشرح كيف انتشر الإسلام عقب الفتوحات العربية كان من المهم أن نميط اللثام عن الظروف والعوامل التى مكنت الإسلام من الانتشار .

ولقــد ضمّن أحد ثقات المؤرخين المسألة التى نحن بصددها الآن العبارة الآتية[1] : « أكان ذلك الحماس الدينى المتقد نتيجة لتلك العقيدة القوية الطاهرة المترعرعة فى بكورتها ، والتى جعلت جنود العرب ينتصرون فى كل موقعة ، ويؤسســون فى مدة قصيرة أكبر امبراطورية شهدها العالم ؟ إننا فى حاجة إلى برهان لإثبات ذلك : لقد كان قليلاً جداً عدد أولئك الذين اتبعوا الرسول وتعاليمه طواعية ، وبإخلاص من أعماق قلوبهم . أما العدد الأكبر فهم أولئك الذين أدخلوا فى صفوف المسلمين كرهاً أو رغبة فى متاع الدنيا . وها هو ذا خالد — سيف سيوف الله — أوضح مثال لطريقة القوة الممتزجة بالإقناع التى اتبعت معه ومع كثير من القرشيين لكى يعتنقوا الإسلام . ولقد قال عن نفسه حينئذ : إن الله قد قبض عليهم من أفئدتهم وشعورهم وساقهم لاتباع الرسول . ولقد كان أيضاً لروح الافتخار بالقومية العربية المشتركة أثر قوى تلك الروح التى كانت أقوى عند العرب فى ذلك الوقت منهــا فى الغالب عند أية أمة أخرى ؛ وتلك الروح وحدها هى التى حدت بالآلاف منهم أن يؤثروا واحداً من بنى جلدتهم ودينه على أى مصلح أجنبى عنهم . وأقوى من هذا وذاك ما رغّبهم فيه الرسول (ص) من غنى مؤكد باكتسابهم الغنائم الوافرة فى الجهاد للدين الجديد ، ومن استبدال الأقاليم الخصبة المثرية : كفارس والشام ومصر بصحرائهم المجدبة العارية التى تجود عليهم بالكفاف فقط

وفى الحقيقة لم تكن تلك الفتوحات الرائعة التى وضعت حجر الأساس للامبراطورية العربية نتيجة للجهاد والحروب الدينية التى أوقدت نيرانها لنشر الإسلام . ولكن تبع هذه الفتوحات ضعف عظيم فى العقيدة الدينية المسيحية ، ذلك الضعف الذى ظنّ أنه الغاية المقصودة من هــذه الفتوح . وهكذا اعتبر المؤرخون المسيحيون السيف الآلة التى اتخذها المسلمون للدعاية لدينهم . وغطى ذلك النجاح المعــزو إلى السيف على الأدلة التى تشير إلى نشاط التبشير الإسلامى الصحيح بطريق سلمية . ولم تكن الروح التى خلقت الحمــاس فى الجنود من العرب الذين اكتسحوا أطراف الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الإيرانية ، روح تبشير لإدخال الجاحدين فى الإسلام . بل الأمر على عكس ذلك ، إذ يظهر أن المصلحة الدينية لم تمثل إلا قليلاً فى تفكير القادة للجيوش العربية[1] .

إن انتشار الجنس العربى ليتضح بحق فى هجرة تلك القبائل القوية النشطة ، ساقها الجوع والعوز إلى ترك الصحراء النكدة ،

(1) Doellinger's Mohammed's Religion nach ihrer inneren Entwicklung und Einflusse auf das Leben der Voelker (Munich 1838) SS. 5.6.

كتاب الدين المحمدى وفقاً لنموه الداخلى وتموذه فى حياة العرب . للأستاذ دولنجر . طبعة ميونخ سنة ١٨٣٨ صفحة ٥ ، ٦ . ٥٨ ، ١٢

(1) أنظر كتاب دراسات فى التاريخ الشرقى لمؤلفه كيتانى (طبعة ميلانو سنة ١٩١١) صفحة ٣٦٥ وما بعدها .

والانتشار في أقاليم أكثر خصوبة . تلك الأقاليم التي يقطنها السعداء[1] .

وبعد ، فلقد كان تأسيس الحكومة الدينية في المدينة العامل الذي خلق الوحدة في تلك الحركة : حركة الفتح والتبشير ؛ وكذلك كان عاملاً على الوحدة نظام الأمة الحديثة الذي بدأه أصحاب الرسول المخلصون ، والحجج الثقات الذين اضطلعوا بتعاليمه أولئك الذين حفظت متانة خلقهم وحماستهم الإسلامَ حياً ، ودينا رسميا ، وذلك بالرغم من عدم اكتراث أولئك العرب الذين انتسبوا إلى الدين ولما يدخل الإيمان في قلوبهم[2]

وإذاً فلا يجب علينا أن نبحث عن الأسباب التي دعت إلى انتشار الدين الإسلامي بتلك السرعة ، في حوادث الجنود الفاتحة ، ولكن الأولى أن نبحث عن هذه الأسباب في الأحوال التي كانت عليها الشعوب المغلوبة

إن ما امتازت به حركة الهجرة من كونها ذات جنسية عربية واحدة قد اجتذب إلى جيوش العرب الغزاة ، ممثلي القبائل العربية ورؤساءها ، تلك القبائل التي كانت تعيش في أطراف الجزيرة ، والتي تمر بها طرق الجيوش الفاتحة . ولذلك فليس غريباً أن نجد كثيراً من أهل البدو المسيحيين قد اكتسحتهم مد تلك الحركة القوية ، ونجد تلك القبائل العربية التي دانت بالمسيحية عدة قرون تهجرها حينذاك وتعتنق الدين الإسلامي . ومن هؤلاء قبيلة الناسنة الذين كان لهم السلطان في الصحراء الواقعة شرق فلسطين وجنوبي الشام ، والذين قيل عنهم إنهم « سادة في الجاهلية ونجوم في الإسلام[3] » وبعد موقعة القادسية سنة ١٤ هـ التي هزم فيها جيش الفرس بقيادة رستم أشد هزيمة جاء كثير من المسيحيين من قبائل العرب البدوية المقيمة على شاطئي الفرات ، إلى القائد العربي وقالوا له : « لقد كانت القبائل التي اعتنقت الإسلام في باكورته أعقل منا ، أما الآن وقد قتل رستم فسندخل في الدين الجديد[4] » .

(١) لقد شرح قيطاني بإيضاح وفتة الفتوحات العربية ، وذكر أنها تعتبر تاريخيا آخر الرحلات السامية العظيمة . أنظر « تاريخ الحوادث الإسلامية » من صفحة ٨٣١ — ٨٦١ الجزء الثاني .

(٢) أنظر قيطاني الجزء الثاني صفحة ٤٠٥ ، والجزء الخامس صفحة ٥٢١ .

(٣) أنظر المسعودي الجزء الرابع صفحة ٢٣٨ .

(٤) أنظر كتاب الخلافة للسير وليام موير (لندن سنة ١٨٩١) من صفحة ١٢١ إلى صفحة ١٢٢

وشبيه بهذا أيضاً ما حدث بعد فتح شمالي الشام فإن معظم أهل القبائل البدوية انضموا بعد تردد قليل ، إلى أتباع الرسول (ص[1])

إنه لمن الممكن أن نحكم أن القوة لم تكن العامل القاطع في حوادث اعتناق الإسلام ، من العلاقات الطيبة التي كانت بين المسيحيين والمسلمين العرب . فقد عقد محمد (ص) نفسه تحالفاً مع بعض قبائل مسيحية ، واعداً أن يحميهم ، وكافلاً لهم الحرية الدينية ، ولرجال دينهم أن يتمتعوا بحقوقهم القديمة وسلطانهم من غير أي تدخل[2] . وقد ألفت مثل هذه العلاقات أيضاً بين أتباع الرسول وبين أفراد عشيرتهم من أصحاب الدين القديم (يعني المسيحية) وقد تقدم كثير منهم طوعاً ليساعد المسلمين في حروبهم الحربية ، مدفوعين بروح الطاعة للحكومة الجديدة . وتلك الروح نفسها قد أبقتهم متعزلين عن حركة الردة العظيمة التي رفع أصحابها راية العصيان في جميع أنحاء الجزيرة العربية عقب موت الرسول (ص) مباشرة[3] .

ويرى بعض المؤرخين أن العرب المسيحيين الذين كانوا يحمون حدود الامبراطورية البيزنطية من ناحية الصحراء قد غامروا بنصيب مع جيش المسلمين الفاتحين حينما رفض هرقل أن يدفع إليهم ما كان يجرى عليهم من العطايا ، مقابل خدماتهم الحربية كحراس لأطراف الامبراطورية[4]

وفي موقعة الجسر سنة ١٣ هـ لما بدت طلائع هزيمة قاضية ، واعتصر العرب — وقلوبهم خاوية — بين الفرات والجيش الفارسي ، تقدم رئيس مسيحي من قبيلة طي (كما تقدم من قبل سبوريوس لاربوس لمساعدة هوراشس) إلى صف العرب لمساعدة المثنى قائد جيوش المسلمين ليحمي الجسر الذي كان عبارة عن مجموعة من الزوارق الصغيرة ، وكانت حينئذ الطريق الوحيد للتراجع المنتظم ، ولما أخذ المسلمون في جمع الجنود ليستردوا مكانتهم ، وليمحوا ما لحقهم من عار كان من بين المدد الحربي الذي انصب عليهم من كل جانب وناحية قبيلة مسيحية تدعى بني نمر ، وكانت تقطن داخل الحدود البيزنطية . وفي واقعة بويب

(١) انظر كتاب الحوادث الاسلامية لقيطاني الجزء الثالث صفحة ٨١٤

(٢) انظر قيطاني الجزء الثاني صفحات ٢٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠١

(٣) قيطاني الجزء الثاني صفحات ٧٩٢ ، ٩٣ ، والجزء الثالث صفحة ٢٠٣

(٤) قيطاني الجزء الثالث صفحات ١١١٢ ، ٦١٦٥ ، ٢

العالم يتطلع إلى حدودنا الغربية

أربعـــــون يوماً في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٢ —

الحاكم

كان من حسن حظ الصحراء الغربية أن قيض الله لها محافظاً هماماً من رجال الجيش البارزين هو صاحب العزة الأميرلاى عبد السميع بك مجرمة الذى تولى هذا المنصب خلفاً لسلفه الإنجليزى فكان أول محافظ مصرى يتولى منصب الحاكم لهذه البقاع النائية. وقد شعر سكان الصحراء الغربيـة منذ ذلك الحين بمصريتهم، واعتزوا بها أكثر من ذى قبل، وكان حاكمهم الجديد خير مصرى يشعر بآلام مواطنيه وحاجتهم إلى النهوض والإصلاح. وخير عون لهذا المصرى الكفء فى هذه الأعباء هم رجاله

التى حدثت سنة ١٣ هـ، والتى كانت قبل الهجوم الأخير للعرب الذى كان الهجوم الفاصل الذى نالوا فيه الفوز. فى تلك الموقعة ركب المثنى إلى الرئيس المسيحى وقال له: «إنك من أبناء جلدتنا فتعال إذاً وحارب معى كما أحارب» وقد تراجع الفرس وتقهقروا أمام ما لاقوه من هجوم عنيف. وبذا أضاف المسلمون نصراً جديداً فى صفحة المجد إلى انتصاراتهم. وكان من أكثر مناسبات ذلك اليوم شجاعة ما قام به شاب من قبيلة مسيحية أخرى فى الصحراء وكان هذا الشاب قد قدم فى جماعة من أصحابه — وهم طائفة من البدو تجار الخيل — حينما كان الجيش العربى قد أخذ ينسجم فى صفوف المعركة. اندفع هؤلاء التجار البدو إلى ميدان القتال فى صف مواطنيهم، وبينما كان القتال فى أشد عنفوانه إذ هجم ذلك الشاب إلى قلب الجيش الفارسى، وقتل قائده، ثم قفز على جواده الموشى، وقفل راجعاً بين حماس المسلمين وإعجابهم به وثنائهم عليه وكان يصيح فى عودته منتصراً ويقول: «أنا من تغلب. أنا الذى قتلت قائدهم[1]»

«يتبع»

(١) أنظر كتاب الخلافة للسير وليام موير صفحات ٩٠ — ٩٤

الضباط المصريون. وفى طليعة هؤلاء القائمقام محمد بك كامل، والصاغ رفعت الجوهرى. وهذا الأخير يعتبر بحق وجدارة أكفأ ضابط مصرى ملم بأحوال الصحراء، وطباع أهلها وطرقها. وقد نشر له نادى السيارات الملكى كتاباً قيماً عن صحراء سينا، ثم وضع فى هذه الأيام كتاباً آخر عن الصحراء الغربية لا يزال بين يديه مهيأ للطبع. وقد طالعت أكثر فصوله واستعنت بكثير مما يحوى من المعلومات الطريفة على ما دونت فى رحلتى فلا بد من الاعتراف بفضل مؤلفه وشكره.

معلومات عامة

فى عهد «الفاروق» ملك مصر الصالح أسبغ الله على صحارى مصر نعمة الأمن والرخاء، وأعاد إليها عهدها الأول فى الحضارة والعمران. وكان عصر الفاروق من أزهى العصور التى مرت بهذه الصحارى والقفار، وأغدق عليها نعمه وعطاياه فهطلت الأمطار يوم تبوأ عرشه، وجادت هذه الأمطار بأطيب الثمرات بعد سبعة أعوام مرت بها قاحلة جرداء عجاف.

وقد أقبلت حكومة جلالته تنفق عن سعة على جميع ما يقوى الروابط بين الأهلين ويعزز وسائل الإصلاح والتعمير فارتبطت أجزاؤها بالسكك الحديدية والطرق الممهدة

وإنه ليثير الدهشة حقاً أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين هذه المروج الناضرة المحيطة بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة القاحلة التى تحده من الجانبين. نعم إن هناك صحارى مجهولة فى مختلف بقاع العالم كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا. إلا أن هذه البقاع لا تعد شيئاً إذا قورنت بصحراء مصر الغربية ووحشتها وخلوها من الحيوان والنبات. ذلك لأن حالة الجدب فيها تثير الدهشة حقاً، ولست فى حاجة لأن تتوغل فى مفاوزها وشعابها لكى تتبين مقدار ما بها من الجدب، فإن سير مسافة قصيرة يكفى لينقلك من مروج ناضرة ولمرض خضراء يانعة غنية بطمى النيل السعيد إلى هضاب متسعة مقفرة تكتنفها الصخور والرمال إلى أبعد مدى يصل إليه النظر

الصحراء الغربية

ينمى القسم الشمالى «البحرى» من صحراء لوبيا بالصحراء الغربية أو محافظة الصحراء الغربية، وهى تشمل الجهات الواقعة غربى النيل من الإسكندرية ومديريات البحيرة والجيزة وبنى سويف

وسيوا إلى السلوم وحدود طرابلس غرباً . ثم من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود الصحراء الجنوبية جنوباً وتتبعها واحات سيوة والبحرية والفرافرة

والجزء الأكبر من هذا الإقليم أرض قاحلة ، عدا المنطقة الغربية من ساحل البحر الأبيض التي تزرع على الأمطار وبعض الآبار القليلة الممتدة على الساحل أو القريبة منه أو التي توجد في الواحات المشار إليها

وتبلغ مساحة هذه الصحراء نحو ٢٤٠ ألفاً من الكيلومترات المربعة . وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — القسم الشرقي : ومركزه مدينة العامرية ، وهو يشمل العامرية والحمام والواحات البحرية والفرافرة

٢ — وقسم مطروح : ومركزه مدينة مرسى مطروح ، وهو يشمل مطروح والضبعة

٣ — وقسم براني : ومركزه مدينة براني ، ويشمل سيدي براني والسلوم

٤ — وقسم سيوة : ومركزه سيوة ، ويشمل سيوة والواحات الغربية وواحة الجارة

ويبلغ سكان هذه الصحراء نحو ٥٥ ألف نسمة معظمهم من البدو الرحل من قبائل أولاد علي الأبيض وعلي الأحمر

الحالة العامة

ويمكن القول إجمالاً عن الصحراء الغربية — إذا استثنينا الشريط الأخضر الرفيع الذي يطوق شاطئ البحر الأبيض المتوسط — إنها عبارة عن إقليم لا مطر فيه ولا حياة . ويكاد يكون هبوب العواصف الرملية عليهما من الأمور العادية التي لا تخلو منها في سنة من السنين

أما على الساحل فإن حالة السكان تتوقف دائماً على الزراعة ومقدار الحاصلات وما يتوفر من المراعي للابل والغنم من هطول الأمطار . ومما يذكر أن السكان في هذا العام والذي قبله أسعد حالاً منهم في الأعوام الماضية التي توالى عليهم فيها الضيق من جراء جدب أراضيهم بسبب قلة الأمطار

ولكن الحاصلات الناجحة لا تكفي لسد الديون التي تراكمت على العربان في سبيل حصولهم على حاجيات المعيشة في السنوات الخمس العجاف الماضية

ولقد كان لزيادة المنشآت الجديدة واشتغال العربان في أعمال السكك الحديدية ومد الطرق وهطول الأمطار ومساعدة الحكومة بتوزيع البذور وهبة جلالة الملك لمناسبة قرانه السعيد وهبة صاحب السمو الأمير محمد علي لمناسبة شفائه ؛ كان لكل ذلك أثر واضح في تعميم الرخاء واليسر بين العربان ، فشعروا بنعمة الحياة ، وعاد أكثرهم إلى بلدانهم بعد أن كانوا هاجروا منها ، وبدءوا يزرعون أراضيهم ويقومون بتربية مواشيهم

واحات الصحراء الغربية

وقد منّ الله على الجزء الجنوبي وعوضه خيراً من الأمطار بعدد من الواحات الخصبة الغزيرة المياه . وهذه الواحات يسكنها قوم من العرب وشعب آخر ليس من سلالة الأعراب وهم جميعاً يأخذون المياه من ينابيعها المتفجرة من عيون دائمة التدفق

ويقال إن لفظة « واحة » كلمة مصرية قديمة معناها « مكان الراحة » وهي بقعة من الأرض الخصبة في وسط الصحراء ، وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التي تمدها بالماء

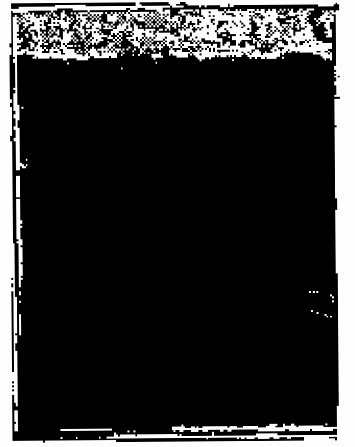
وفي الصحراء الغربية عدة واحات :

« سيوة » وهي تشمل سيوه والزيتون وقوريشت والأرغوى وخبيسة وأبو الشروق والبيج والمراقي

وفي شرقيها مجموعة الواحات البحرية وتشمل البحرية والفرافرة

كثبان من الرمل تنتقل

تمتد على طول الجزء الجنوبي الغربي من الصحراء كثبان عظيمة من الرمل تنتقل إلى مساحات واسعة وهذه الرمال تطغى على الأرض وتدفن تحت رمالها الناعمة الغزيرة مساحات شاسعة من الأرض قد تزيد على مئات الأميال ، وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثباناً أو « تلالاً » من الرمال الناعمة تسير متوازية بارتفاع كبير ممتدة من الشمال أو الشمال الغربي إلى



كثبان من الرمل تنتقل

الجنوب أو الجنوب الشرقي في نفس اتجاه سير الرياح التي تهب على الصحراء

وهذا التكوين يجعل اجتياز هذه المناطق في اتجاهات عرضية من الغرب إلى الشرق أو بالعكس صعباً عسيراً إلا عند فتحات أو ممرات ضيقة معينة معروفة ، كما أن هذا التكوين جعل الكثبان تمتد حاجزاً منيعاً للحدود المصرية . ويقال إن طغيان هذه الرمال أخذ في الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت على طريق للقوافل كانت ممتدة بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفت هذه الطريق تماماً كما اختفى تحتها من قبل جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ ق . م . وكان عدده ٥٠٫٠٠٠ من الغزاة ، وذلك عند ما أراد غزو واحة سيوه . ولم ينج من هذا العدد أحد ، على أن الواحات نفسها لم تسلم من هبوب عواصف الرمال فهي تطغى على الزرع وتحدث به أضراراً جسيمة .

وقد شهدنا بعض هذا الهبوب حين توغلنا في جوف الصحراء إلى واحة سيوه في رحلة بالسيارات قطعناها في نحو تسع ساعات وبسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلومتر في الساعة وشهدنا في منتصف هذا الطريق « الاستراحة » التي أقيمت به في عهد الخديو السابق فأقمنا بها بعض الوقت وتناولنا فيها قليلاً من الزاد كنا حملناه معنا وهي غرف شيدت من الخشب أشبه بـ « فيلا » قائمة وسط الصحراء القاحلة يستريح فيها المحافظ والضباط خلال تجوالهم في أنحائها .

« يتبع » عبد الله

ملحوظة : معظم هذه المعلومات التاريخية أثناء الرحلة ومأخوذة من مذكرات صديقنا الصاغ رفعت الجوهري مأمور مرسى مطروح من الصحراء الغربية

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحمد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



واتفق الضباط وحلفاؤهم أن يسير عرابي على رأس الجيش إلى عابدين في اليوم التالي ليطالبوا الخديو بوضع حد لتلك الحال التي ضجت منها البلاد ؛ وأرسل عرابي خطاباً إلى الخديو في صباح ذلك اليوم المشهود في قصر الإسماعيلية ، وكان الخديو قد حضر في شهر سبتمبر إلى القاهرة ، ينبئه فيه بما اعتزم أن يقوم به عصر ذلك اليوم !

يقول عرابي في مذكراته : « ولما كثرت دسائس الحكومة وبان خللها وعزمها على اغتيالنا ، أخذنا حذرنا منها ، وسهرنا على إحباط تلك الدسائس المنكرة ، وكان المستر مالت قنصل انجلترا بمصر كثير التردد على الخديو ليلاً ونهاراً دون غيره من وكلاء الدول الأوربية ، فأوجسنا من ذلك خيفة على مصير بلادنا ، وخشينا من مطامع انجلترا التي كانت ترمي إلى التهام وادي النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس حتى يتم التوازن التي تدعيه أوروبا ؛ فعرضنا تخاوفنا على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علماً بما كان جارياً في مصر ولكيلا يتورط في تصديق ما قد يصل إليه من دسائس أعداء البلاد . وذيلنا العريضة المذكورة بإمضائي وإمضاءات إخواني علي بك فهمي وعبد العال بك حلمي وأحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش ، وأحمد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحي وعثمان باشا فوزي وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين ... »

* * *

وفي عصر ذلك اليوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ تحرك الجيش يقصد عابدين ؛ فخطت الثورة الوليدة أجرأ خطواتها وأبعدها أثراً في تطور حوادث ذلك العهد .

وكان الخديو في قصر الاسماعيلية . فأرسل يستدعي السير أوكلندكلفن . ولما حضر سأله ماذا عسى أن يفعل في هذا الموقف. قال كلفن : « نصحت إليه أن يقاوم ؛ فقد أخبرني رياض باشا أن في القاهرة فرقتين مواليتين ، لذلك أشرت على الخديو أن يدعوهما إلى عابدين مع ما يمكن الاعتماد عليه من الحرس الحربي ، وأن يضع نفسه على رأسهما . فإذا ما وصل عرابي قبض عليه بشخصه . فأجابني أن لدى عرابي بك المدفعية والفرسان ، وربما أطلقوا النار فأجبت أنهم لن يجرؤوا على ذلك ؛ ومتى توفرت له الشجاعة للمقاومة ، وعرض نفسه شخصياً ، فإنه يتسنى له أن يقضي على المتمردين ، وإلا فإنه ضائع »(1) .

هذا ما أشار به كلفن ، وما نراه في ذلك يدفع بالتي هي أحسن ، وما نراه يحمل — كما يقول كرومر — إلى الخديو : « قسطاً من تلك الروح التي تحمي جنسه الامبراطوري » وإنما نراه يلقي الزيت والحطب على النار حتى لا تبقي ولا تذر ، وبعدها تقتنص الفريسة بدعوى إنقاذ البلاد من نار الفتنة . وما أظن ذلك القول محتاجاً إلى دليل . فهذا الذي يدعو إليه كلفن لو وقع لن يكون

(1) Modern Egypt : Earl of Cromer. P. 144. M. & Co. 1911.

إلا حرباً أهلية شرها مستطير ، وأمرها خطير .

وتوجه الخديو إلى عابدين قبل حضور الفرق ، ومعه كلفن ورياض وستون باشا . فاستدعى على بك فهمى رئيس الحرس ، وأشار عليه بالدخول إلى القصر بفرقته والتحصن بالنوافذ العليا وقد نصح للجند بقوله : « أنتم أولادى وحرسى الخصوصى ، فلا تقبلوا التعصب الذميم ، ولا تقتدوا بأعمال الآلات الأخرى » فأطاع الجند وأخذوا يتأهبون .

وسار الخديو بعد ذلك إلى القلعة ، ولكنه لم يجد من فرقتها مثل ما ظهر له من ولاء الفرقة السالف ذكرها . فسار إلى العباسية حيث كانت فرقة عرابى ، ولكنه علم هناك أن عرابياً سار منذ ساعة على رأس جنده ، ومعهم المدافع بطريق الحسينية إلى عابدين فقفل أدراجه إليها ...

وتلاقى عرابى فى ميدان عابدين بالفرق الأخرى بقيادة أحمد بك عبد الغفار وعبد العال بك حلمى وابراهيم بك فوزى وفوده أفندى حسن وغيرهم من أنصاره ، وأرسل عرابى يستدعى على بك فهمى فحضر من داخل القصر فعاتبه فرد بقوله : « إن السياسة خداع » ثم ذهب فعاد بفرقته ، وانضم إلى الجيش فأصبح القصر خلوا من كل عناصر المقاومة .

وتجمع وراء صفوف الجيش آلاف من أهل القاهرة الذين أخذتهم الدهشة لا ريب لهذا المنظر ؛ واشرأبت أعناق الشعب التى طالما ألفت الذل، وتطلع من فوق أكتاف الجند، ومن خلال صفوف الفرسان لينظر ماذا يكون فى هذا الموقف الرهيب ؛ واسم عرابى يجرى على الألسن فى حين تدور الأبصار باحثة عن موضعه ، وهو على ظهر جواده أمام جنده يتأهب لمقدم الخديو ليسمعه كلمة مصر ، كلمة الشعب الذى ألبس جده العظيم بالأمس الكرك والقفطان دون رجوع إلى السلطان . وما أعظم هذه الكلمة ينطق بها فلاح من أعماق الوادى نبت ونما على ثراه !

ووصل الخديو إلى عابدين بعد أن فشلت سياسة طوافه على الآلايات ، تلك السياسة التى تدل فى ذاتها على منتهى الضعف ، والتى لا يشفع له فى اتباعها سوى أنها كانت آخر سهم فى جعبته إن كان هنا شفيع . والحق أن الخديو قد لاقى فى ذلك الطواف ما تنخلع له أفئدة أقوى من فؤاده . وحسبك أن فرقة القلعة قد ثارت فى وجهه حينما أمسك بتلابيب قائدها مهدداً حتى لقد وضع العساكر الأسنة فى بنادقهم بأمر من هذا القائد وتجمهروا حول الخديو حتى صاح بالقائد « أفسح لنا الطريق يا بكباشى » .

ودخل الخديو السراى من باب خلفى . ويقول مستر كلفن إنه قفز من عربته وأشار على الخديو أن يسيروا إلى الميدان ففعل توفيق ذلك ، وسار إلى حيث اجتمع الجند ، ووراءه ستون باشا وأربعة أو خمسة من الضباط الوطنيين، وواحد أو اثنان من الضباط الأوربيين ؛ ويذكر عرابى أنه كان معه المستر كوكس قنصل انجلترة بالأسكندرية والجنرال جولد سمث مراقب الدائرة السنية

وتقدم الخديو ثابت الخطى ، فأشار عليه كلفن أن يأمر عرابياً بتسليم سيفه إذا ما دنا منه وأن يأمره بالانصراف ثم يطوف بعد ذلك على الفرق فيأمرها بمثل هذا الأمر

وسار عرابى على ظهر جواده حتى إذا اقترب من الخديو صاح به الخديو : « ترجل وأغمد سيفك » . ففعل عرابى دون إبطاء ، ومشى نحو الخديو ومن خلفه نحو ثلاثين ضابطاً فأدى التحية العسكرية

الموقف رهيب بالغ الرهبة ! ففى هذا الجانب إذا نظرنا إلى حقائق الأمور نرى مصر التى أيقظتها الإحن والفواجع تتمثل فى هذا الجندى الفلاح تجرى على لسانه كلها فى غير التواء أو تلعثم ؛ وفى الجانب الآخر صاحب السلطان والجاه الموروث ، تغضبه هذه اليقظة وتذهله ، مع أنه رآها منذ بدايتها ورأى أباه على جلالة قدره يوسع لها صدره ويخفض لها جناحه فتزداد بذلك رفعة ... هنا الحرية الوليدة، والديمقراطية الجديدة؛ وهناك التقاليد العتيدة، والأوتوقراطية العنيدة؛ ومن وراء ذلك كله الثعالب وبنات آوى تمسكن لتتمكن ، وتتربص لتنقض !

والتاريخ شاهد يثبت للقومية المصرية موقفاً من أروع مواقفها، ومظهراً من أجل مظاهرها، ويضيف بذلك إلى صفحات الحرية فى سجله صفحة جديدة لن تبلى الأيام جدتها ، أو تبخس أغراض المبطلين قيمتها

همس كلفن فى أذن الخديو : « هذه هى ساعتك[1] » فأجاب

(١) Modern Egypt.

الخديو : « نحن بين أربع نيران » فقال كلفن : « كن شجاعاً » فتباحث الخديو وأحد الضباط الوطنيين ثم التفت إلى كلفن قائلاً : « ماذا عسى أن أصنع ؟ نحن بين أربع نيران ، إنهم يقتلوننا »

ويحسن أن نورد ما حدث بعد ذلك على لسان عرابي كما جاء في مذكراته [1] قال : « ثم صاح بعض خلق من الضباط : أن اغمدوا سيوفكم وعودوا إلى مكانكم . فلم يفعلوا وظلوا وقوفاً خلفي ودم الوطنية يغلي في مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم. ولما وقفت بين يديه مشيراً بالسلام خاطبني بقوله : « ما هي أسباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ » فأجبته بقولي :

« جئنا يا مولاي لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة » . فقال : « وما هي هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هي إسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب على النسق الأوربي ، وإبلاغ الجيش إلى العدد المعين في الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التي أمرتم بوضعها » . فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها ، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائي وأجدادي ، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا » . فقلت : « لقد خلقنا الله أحراراً ، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً ، فوالله الذي لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم »

فلفت الخديو إلى كلفن قائلاً : « أسمعتَ ما يقول ؟ » فأشار عليه هذا بالعودة إلى القصر إذ لا يجمل أن يزيد الأمر بينه وبين عرابي عن هذا الحد . فانصرف الخديو وبقي الجيش في مكانه لا يتزحزح

وأقبل مستر كوكسن يناقش عرابياً في غلظة . ويخيل إلي أن هذا الرجل كان ممن يحسنون دس أنوفهم في كل شيء وكان ذلك منه لغاية كان يخفيها ! ومما وجهه إلى عرابي قوله: ألا حق له أن يطالب بالمجلس النيابي وإسقاط الوزارة فذلك من شأن الأمة ، أما عن زيادة الجيش فمالية البلاد لا تساعد على ذلك

ورد عرابي بقوله إن الأمة أنابت الجيش عنها ، ثم وجه نظر محدثه إلى الجموع المتراصة خلف الجند قائلاً هذه هي الأمة وما الجيش إلا جزء منها

(١) يذكر عرابي كوكسن بدل كلفن في هذا فيقول أشار عليه المستر كوكسن أن يطلق على غدارته، ويذكر كلفن أن كوكسن لم يحضر إلا بعد ساعة أو نحوها

فراح ذلك الإنجليزي يتهدد ويتوعد في فضول عجيب ، ورد عرابي على ذلك بأنه لن يسمح لأحد بالتدخل في شؤون مصر الداخلية. وهنا سأل كوكسن محدثه سؤالاً يتجلى فيه خبثه وقد ظن أنه به أحكم الرمية فقال : « وماذا تفعل إذا لم تجب إلى ما تطلب ؟ » فانظر إلى رد هذا الجندي في هذا الموقف الذي تخف فيه أحلام الرجال والذي تردى القوة فيه القلوب فتسلب ذوي العقول اتزان عقولهم ! أنظر إلى عرابي في موقف الثورة يقول له : « إنها كلمة لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط »

وأخذ كوكسن يروح ويغدو بين عرابي والخديو حتى جاءه آخر مرة ينبئه بقبول الخديو إسقاط الوزارة القائمة وأن سموه سينظر في بقية الطلبات فلا بد في بعضها من مشاورة السلطان ؛ وقبل عرابي ذلك . فعرض الخديو على الجيش اسم حيدر باشا لرياسة الوزارة القادمة ولكنهم رفضوه ؛ وجرى على الألسن اسم شريف ، فعاد كوكسن بعد حين يعلن إلى عرابي قبول الخديو تعيين شريف باشا فقوبل ذلك بالهتاف بحياة الخديو . والتمس عرابي الإذن على الخديو ، فلما وقف بين يديه أخذ يعبر له عن ولائه وولاء الجيش . وذكر له الخديو أنه واثق «على تلك الطلبات بنية صافية » ؛ ثم انصرف الجيش بعد ذلك في هدوء كل فرقة إلى مراكزها

هذا هو يوم عابدين الذي اعتبره خصوم عرابي من أكبر سيئاته، والذي نعتبره في غير مغالاة أكبر حسناته. وليت شعري كيف يغفل هؤلاء عما ينطوي عليه هذا الموقف من معان ؟ ألا إنهم ليتغافلون ليطمسوا الرجل في أجل مواقفه وأعظم خطواته، وهم إنما ينالون بذلك من أنفسهم دون أن ينالوا منه

طالب عرابي بالدستور فكان في طلبه هذا زعيم ثورة تقوم على أجل المبادئ التي شاعت في القرن التاسع عشر والتي اعتبرها المؤرخون والناس من أعظم خطوات البشرية وأجلها نحو الرقي والكمال. فكيف يكون مع ذلك داعية فوضى واضطراب ؟ ولقد كثرت في أوربا المواقف الشبيهة في معناها بهذا الموقف فسجلتها الشعوب في ثبت مفاخرها واعتبرتها من أيامها المشهودة التي سوف تمجد إلى الأبد ذكراها

« يتبع » الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٠٥ — أشيب

ابن سينكبر الروزي (علي بن أبي علي) :

كفى الشيب عيباً أن صاحبه إذا ... أردت له وصفاً به قلت : أشيب
وكان قياس الأصل (إن قست) شائباً ... ولكنه في جملة العيب يحسب[1]

٤٠٦ — لقد طال وجدي بعدها وحنيني

حكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي أن أبا الحسن علي بن أحمد بن علي بن سَلَّك[2] الفالي[3] الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الطاهر بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي وهي :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغار ، عليهم تستهل شؤوني
فقلت — ولم أملك سوابق عبرة ... مقالة مكوي الفؤاد حزين :
« وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من رب بهن ضنين »

٤٠٧ — وأخرى تداويت منها بها

في (العقد) : قال هرون بن داود : شرب رجل عند خمار

(١) معنى تفرد به ، يعني أن صاحب خلق الإنسان في كلام العرب يجيء أكثرها على أفعل (تتمة اليتيمة) شاب يشيب شيباً وهو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت يكون من باب فعل (كفرح) يفعل (كيفرح) وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان . ولا فعلاء له : لا يقال امرأة شيباء ، اكتفوا بالشمطاء من الشيباء ، وقد يقال شاب رأسها (« اللسان » التاج)

(٢) سلك : بفتح السين وتشديد اللام وفتحها هكذا وجدته مقيداً ورأيت في موضع آخر بكسر السين وسكون اللام (ابن خلكان)

(٣) فالة بلدة من بلاد خوزستان ينسب إليها أبو الحسن علي بن أحمد ابن علي بن سلك الفالي الأديب سمع بالبصرة من القاضي أبي عمرو أحمد بن إسحق وحدث بشيء يسير (معجم البلدان)

نصراني فأصبح ميتاً ، فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار : أنت قتلته
قال : لا والله ، ولكن قتله استعماله قوله :
وأخرى تداويتُ منها بها[1]

٤٠٨ — أنا خير البرية

في (الصلة) لابن بَشكُوال[2] : كان (القاضي) أبو عمران الفاسيّ بالقيروان ، فقال رجل : أنا خير البرية ! فلُبِّب[3] ، وهمت به العامة . فحمل إلى الشيخ أبي عمران ، فسكّن العامة ثم قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه ما قال . فقال له : أأنت مؤمن ؟

قال : نعم .

قال : تصوم وتصلي ، وتفعل الخير ؟

قال : نعم .

قال : اذهب بسلام ، قال الله (تعالى) :

(إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، أولئك هم خير البرية)[4]

فانفض الناس عنه .

٤٠٩ — حور الجنان على مثالك

أبو العتاهية :

إن المليك رآك أحسن (م) خلقه ورأى جمالك
فحذا بقدرة نفسه حور الجنان على مثالك

٤١٠ — الشيخ بعد ذلك إبليس

قال مخارق بن يحيى : رأيت وأنا حدث كأن شيخاً جالساً على سرير في روضة حسنة فدعاني فقال لي : غنّني يا مخارق ، فقلت : أصوتاً تقترحه أم ما حضر ؟ فقال : ما حضر ، فغنيته :

دع القلب لا يزدد خبالاً مع الذي ... به منك أو داوي جواه المكتما
وليس بتزويق اللسان وصوغه ... ولكنه قد خالط اللحم والدما

(١) الأعشى ، وصدره : وكأس شربت على لذة

(٢) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال . كتاب (الصلة) طبع في الغرب منذ مدة بعيدة

(٣) لببه تلبيباً : جمع ثيابه التي عليه متدبره وصدره ثم جره وكذلك إذا جعل في عنقه حبلاً أو ثوباً وأمسكه به (اللسان ، التاج)

(٤) البري والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (الكشاف) .

فقال لي: أحسنت يا مخارق. ثم أخذ وتراً من أوتار العود فمدّه في المضراب ودفعه إليّ، فجعلت أضرب بعود ويتمدد والوتر ينتشر ويعرض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالمذبة عليه، وصار في يدي عصاً، ثم انتبهت فحدثت رؤياي[1] إبراهيم الموصلي فقال لي: الشيخ بلا شك إبليس، وقد عقد لك لواء صنعتك، فأنت ما حييت رئيس أهلها

٤١١ — ما فهمت غير مفرداته

في (الغيث المنسجم): قال العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصاري: حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآيكي شيخ خانقاه[1] (سعيد السعداء[2]) عند الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[3] (رحمه الله) وأخذ يتكلم في طريقتهم وأحوالهم، ويتحدث في[4] المعرفة زماناً والشيخ تقي الدين ساكت لا يعرفه بكلمة. فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين: هل فيكم من فهم تركيب كلامه؟ فإني ما فهمت غير مفرداته ...

(١) أبو الفرج: أظن أن الشاعر الذي مدح مخارقاً إنما عني هذه الرؤيا بقوله:

لقد عقد الشيخ الذي غر آدما ... وأخرجه من جنة وحدائق
لواءين توفي للقريض وللغنا ... وأنتم لا يعطيهما غير حاذق

(١) في «التاج»: الخانقاه بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية والنون مفتوحة معرب خانه كاه. في «خطط المقريزي»: خانكاه فارسية معناه بيت. وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك والخوانك حدثت في الاسلام في حدود الأربعمئة من سني الهجرة، وجعلت لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله.

(٢) في «الخطط»: هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولاً داراً تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر، ولقبه سعيد السعداء، أحد الأستاذين المحنكين وخدام القصر عتيق الخليفة المستنصر.

(٣) في (طبقات السبكي): شيخ الاسلام المجتهد المطلق، إمام المتأخرين العالم المبعوث على رأس السبعمئة.

(٤) المعروف حدثه الحديث وبه كما في اللسان وغيره.

قالوا: سكت؟

للأستاذ أمجد الطرابلسي

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا في مسمع الأكوان رَجْعُ غنائي
غنَّيتُ في أذن النهار سعادتي وهمستُ في قلب الظلام شقائي
وتَوَّجتُ أناشيدي الطيورُ وردَّدتْ همسي الخفيَّ كواكبُ الظلماء
فسلوا الجداولَ عن غناء مياهها هل غيرُ ألحاني غناءُ الماء
وسلوا الخمائلَ عن نَدَى أزهارها هل غيرُ دمعي لؤلؤُ الأنداء
والورد والشفق المخضَّب والقطى هل هُنَّ إلا من وَميضِ دمائي
والبحر هذا الهادئ الصخّاب هل أمواجُه إلا صَدَى أهوائي
والريح هل هبّاتها بعد الونى إلا انبعاثي بعد موت رجائي
الليلُ والأرماسُ بعضُ كآبتي والفجرُ والأعراسُ بعض هَنائي
والبِيدُ صورةُ فَرْحتي ومباهجي والبيدُ صورة وَحشتي وفَنائي
والرَّعد يحكي ثورتي في قصفه وزفيفُ أجنحة الطيور رضائي
ولقد مَلأتُ من الفتون جَوانحي وطويت فوق فتونه أحنائي
وكرعتُ أكوابَ الجمال ولم أزل أشكو له ظمئي وحرَّ ظمائي
أحييتُ ما شاء الهيام وشاء لي قلبٌ غَرِت بحبِّه أعدائي

* * *

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا ما في يد الينبوع حبسُ الماء
خُلِقَ الربيع مُصَوِّراً في كفه قلمُ الأديب وريشة الوشّاء
ما دغدغ الأغصانَ أو لمسَ الرُّبى إلا ضحكنَ تضاحكَ العذراء
وزهَلْنَ في أفوافٍ وَشْيٍ بَنانه متبرِّجاتٍ أو ذواتِ حياء
فسلوه: هل يسطيعُ إبداعَ الأسى نطلَ الشتاء الواجم البكّاء؟
والزهر، هل يسطيع في ألق الصِّبا ضنًّا بنفح عاطرٍ وذكاء!
والشمس هل تسطيع في رَأْدِ الضحى ألّا تجودَ بباهرِ الأضواء؟
لكنْ هَزارُ الروض ليس بهيجه للشدو صمتُ دُجُنّةٍ نكراء
ما حيلةُ الشادي الرقيقِ غناؤه عَبامِع تلتذُّ بالضوضاء؟!
يشدو فيعصر في اللحون فؤادَه كيما يؤوبَ ببسمة استهزاء!...

* * *

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: بل عن أن أُريقَ على الجحود وفائي!
أمّا الغناءُ فقد جرت نَغَماتُه تجري دمَ الدَّفّاق في أعضائي
حسبي من الألحان قلبٌ لم يدقْ بين الأضالع هَدْأةَ الإغفاء
غَرِدٌ كما هبَّ النسيم وتارةً كالزعزع المجنونة الهوجاء
رَحْبٌ تموجُ به اللحونُ كأنها من كلِّ أرضٍ جُمِّعت وسماء
أبداً ترفُّ به ملائكةُ الهوى هنا عزمار وذاك بنـاء
ومواكبُ الجِنّانِ تعصف وسْطه وتضجُّ تحتَ الراية الحمراء
ما ضرَّني إن كنتُ عندي شاعراً ألّا يعدّوني من الشعراء
لا كان قلبي إن طلبتُ بذوبه من كفِّ هذا الدهر بعضَ جزاء!
لا كان شعري إن رفعتُ لواءه بين الأنام على رُفات إبائي!
يستعبدونيَ ويحهم! وأنا الذي حطَّمَ القيودَ تمرُّدي ومضائي
حلَّقتُ أرمقُ من بعيدٍ ساخراً ذلَّ العبيدِ الراسفين ورائي
هم يصنعون قيودَهم بأكفِّهم وأنا أمدُّ لجالعيَّ جوائي
عشقوا القيودَ كأنما هي حليةٌ ذهبيةٌ في معصم الحسناء
واستعذبوا سوطَ القويّ يؤزُّهم في كلِّ صبحٍ ناعمٍ ومساء
فتمرَّغوا شغفاً على أقدامه كي لا يضنَّ بهذه النعماء
لولا غرامُ القيد لم تكنِ الدُّنا هذي السجونَ تضيق بالسجناء
لولا التلذُّذُ بالأذى ما ألهبت تلك السياطُ نواصيَ الضعفاء
يا من يريدُ تحرُّراً من قيده هلّا بدأتَ بنفسك الشوهاء
هي بالقيودِ مؤودةٌ لكنّها ما إن تحسُّ لحزِّها بعناء
إني نظرتُ إلى العبيدِ فلم أجد رِقّاً كرقِّ النفس والآراء
فاشمخْ بأنفك رفعةً وتمرُّداً وذرِ النفاقَ ولا تَدِنْ برياء
واتركْ لصيحاتِ الطبول فراغَها واسخر من العظماء والكبراء
فإذا قيودُك قد هوتْ من نفسها عن ساعدَيك هشيمةَ الأشلاء

* * *

نجوى موسيقية (سيرانادة)

« تحت نافذة المرأة التي لم تخلق بعد »

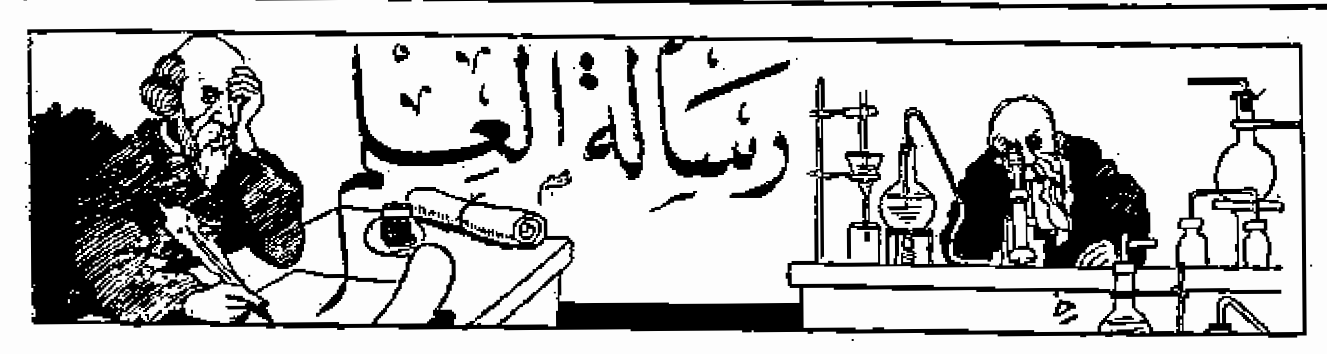
للأستاذ صالح جودت

ما أنتِ إلا امرأة في الخيالْ رأيتُها بالقلب رؤيا الشمالْ
لو قدرتْ ليلةً قدرٍ على تأويلها ، لم أرضَ هذا المحالْ
مُناىَ أن تحيا بفكرى ولا تخطر في الدنيا لغيرى ببال
وما أنانيٌّ أنا ، لكنها أخشى عليها من قلوب الرجال
وهى التي صوّرها شاعرٌ مبتكرٌ أبدع فيها المثالْ
من عُنصر الوهم اجتلى رسمها والوهمُ في الدنيا أعزُّ اللآلْ
آمنتُ بالله ، وما شِمْتُهُ إلا بعين الوهم خلف الظلال
وزُرْتُ بالحب وعايَنْتُهُ في امرأةٍ من غانيات الخيالْ
كنتُ أنا البارى الذى صاغها فكيف أُمسى أنا عبد الجمالْ ؟
كناحتِ « القرَّى » إذا مارى معبودَهُ ، ذلَّ لذات الجلالْ
فهل رأى العالَمُ مخلوقةً دلّتْ على الخالق هذا الدلال ؟
وهو الذى تارى بها ربَّهُ واسترخص الهَدْىَ وأغلى الضلال
وسار في الناس بأوصافها حتى أحبوها بغير اعتدال
وتتشوا في الأرض عن وكرها وفي السموات العوالى الطوالْ
تداولَ النـــاسُ أحاديثها والناس لا تسأم ذل السؤال
وقيل إن الغيبُ قد لفّها وإنْ حُجْبَ الغيب ليست تُنَالْ
وقيـل في يمناى مفتاحها وقيل يطوى قلبَها في الشمال
يا طيبَ ما لاقيتُ في حبها وطيب قيلٍ في هواها وقالْ

صالح جودت

قالوا : سكتَّ عن الغناء ! فقلت : لا في مسمع الأكوان رَجْعُ غنائى
قلبي لقد وسع الحياةَ جميعَها من شقوةٍ وسعادةٍ وهناء
والكونُ لحنى كلُّهُ رتَّلْتُهُ في نشوةِ الإصباح والإمساء
ألفتُهُ من آهتى وتبسُّمى فاستنشدوه يُعِدْ لكم أصدائي

« باريس » أحمد الطرابلسي



أقصى ما بلغه العلم التجريبي

يستدل العلماء على مرور الكترونات الأشعة الكونية
بسماعها ويحصلون على صور مسارات هذه الألكترونات

للدكتور محمد محمود غالى

لو أن الساسة اليوم وجهوا عنايتهم إلى العلماء والعاملين على التجديد العلمي لما كان ثمة شك في الخطوات العجيبة التي يخطوها العلم إلى الأمام ، ذلك أن الميراث العلمي بلغ حداً يمكن الإفادة منه أكثر من أي عهد مضى

ولو أن الأموال التي تنفقها الحكومات المتعددة على الاستعداد للحروب وعلى الإكثار من آلات التهلكة والدمار ، أخذت طريقاً آخر للخير العام ، فأنفقوا جانباً منها على المعامل العلمية ؛ ولو أن الساسة أحسنوا استعمال النتائج العلمية التي يتوصل إليها العلماء واستفادوا للخير لا للشر من انتصارات العلم الباهرة لاقتربنا من جيل يختلف كثيراً من العهد الذي نعيش فيه ، ولشهد الإنسان حضارة أرقى كثيراً من الحضارة التي يستمتع بها الآن ، ذلك أن العلم التجريبي بلغ حداً تعجب له عند ما تقف على بعض تفاصيله الأخيرة

وإني أستعرض مع القارئ بطريقة مبسوطة مثالاً في البحث التجريبي وما أصبح له اليوم من قوة ، فأدله في هذا المثال على طريقة قياس الأشعة الكونية وتعيين مسارات جسيماتها السريعة التي لا يمكن للعين أن تراها

* * *

لو أني ذكرت للقارئ أن وزن الألكترون هو $\frac{١٠٦٠}{(١٠^{٢٧})}$ من الجرام وأن العلماء يستطيعون اليوم رسم صورة لمساره ويسمعون مروره لما تملكك العجب ، ذلك أن النظر إلى الأرقام لا يدل بطريقة واضحة وسريعة على ضآلة الشيء أو جسامته ، على صعوبته أو سهولته ، بقدر ما تدل على ذلك الأمثلة وما تنطوي عليه من مقارنة

ولو أني ذكرت للقارئ أن الألكترون هو من الضآلة والصغر بحيث أن النسبة بين كتلته وبين كتلة أحد أزرار البدلة التي يرتديها ، كالنسبة بين كتلة هذا الزر وكتلة الكرة الأرضية بأسرها ، لعجب القارئ كيف أمكن معرفة شخصية هذا الجسم المتناهي في الصغر ورسم مساره على الورق الحساس ، وكيف يمكن أن نسمع بمروره بيننا ، هذه أمور يحار لها العقل

هذا الألكترون (الوحدة السالبة للكهرباء) وشقيقه البوزتون (الوحدة الموجبة) يصل كل منهما بسرعة كبيرة وتتركب جسيمات الأشعة الكونية منهما . ولكل من هذه الجسيمات طاقة تفوق حد الوصف ، ومع ذلك فبرغم صغرها وسرعتها يتمكن العلماء اليوم من تسجيل مرور كل منها على حدة ومن رسم مساراتها وسماعها عند مرورها ، وهم يضعون لذلك في طريق هذه الجسيمات من شباك الصيد والأجهزة الدقيقة ما يساعدنا على سماع إنذار عند مرورها ، ومن رؤية آثارها في المادة ، وتسجيل الطريق التي مرت فيها

ولعل هذا يدعو القارئ إلى شيء من الدهشة يزيد على دهشته عند استماعه من الراديو حفلة غناء تدور حوادثها بعيدة عنه وهو واقف بسيارته في قلب الصحراء

هذا الألكترون ، الزائر العجيب ، كان هدف العلماء ؛ هذا الطائر السريع الآتي من عوالم بعيدة ما زلنا لا ندرك مصدرها ، كان ولا زال محل اهتمام العلماء لتحقيق شخصيته ، وقدرته على

اختراق المادة وإحداث التفتت الذرى فيها — هذا الجسيم الذى ربما بدأ رحلته حول الكون قبل بدء العصر الكمبرى ؛ وهو العصر الذى لم يترك لنا أى أثر من الكائنات الحية على الأرض ؛ لا زال محل بحث العامل قاطبة لمعرفة كنهه وأثره وطبيعته



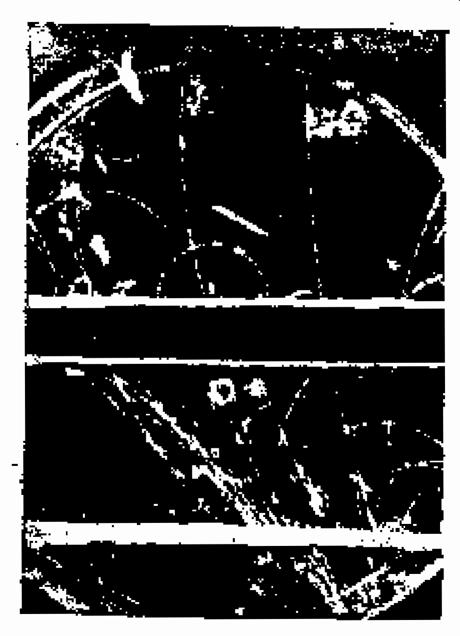
جسيمات الأشعة الكونية تخترق لوحة من الرصاص وتحدث تهدماً في المادة — أبحاث أندرسون ونيدرماير

ش (١)

ومن يدرى ! فقد يكون الوقت الذى استغرقته عملية نشوء الكائنات الحية وتطورها من أنفيبا إلى أسماك ، ثم إلى زواحف وطيور وثدييات وإنسان ، لا يعد إلا فترة بسيطة بالقياس إلى الزمن الذى قطع فيه هذا الجسيم رحلته الطويلة حول الكون المقفل على نفسه[1] ومع ذلك فقد وصل إلى مكان وُجد فيه إنسان مُفكر ، يستطيع أن يقف على شيء من دخائل هذا الجسيم الصغير ، أن يكشفه ، أن يرى مساره ، أن يسمع مروره ؛ بل يضع له شباكاً من ألواح الرصاص السميكة ويرى رأى العين كيف يخترقها طوراً ويتعثر فيها تارة ، بل يرى آثار الهدم الذى يحدثه هذا الزائر السريع فى ذرات المادة ، ويرى الانفجارات العديدة التى تقع بسبب مروره وبفضله وفضل طاقته العظيمة . وفى الشكل (١) يرى القارئ صورة جسيمات الأشعة الكونية وحزمة من الجسيمات الأخرى ويرى هذه الجسيمات الكونية تخترق لوحاً من الرصاص محدداً بالخطين الأفقيين ، كما يرى شيئاً من الهدم الذى حدث فى هذه المادة . وفى الشكل (٢) يرى حزمة أخرى من هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر ، وبالأحرى يرى مواضعها تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون الذى سنتكلم عنه فى مقال قادم ؛ وهذه الحزمات وهى جسيمات من المادة حدثت بسبب الأشعة الكونية التى لها هذه القوة العجيبة من اختراق ما يقابلها من مادة

* * *

ولتعرف شخصية جسيمات الأشعة الكونية ، ألكترونات كانت أم بوزيتونات ، وتسجيل مرورها ، طريقتان :



حزمة من الجسيمات تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون بسبب مرور ألكترونات الأشعة الكونية التى تخترق ما يقابلها — أبحاث أندرسون (مكتشف الوحدة الكهربائية الموجبة) ونيدرماير

ش (٢)

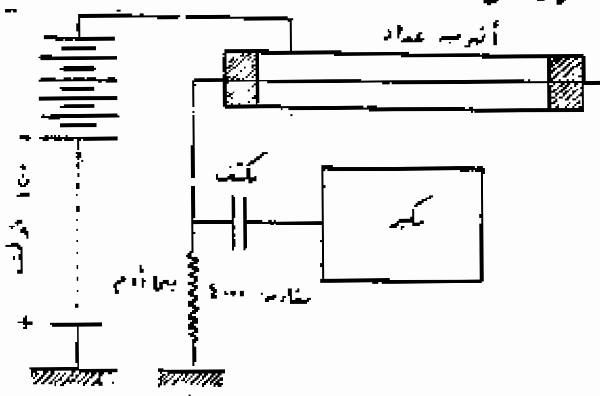
الطريقة الأولى تنحصر فى استعمال جهاز خاص لعد هذه الألكترونات ويسمونه « عداد الألكترونات » Compteur à Electron وفى هذه الطريقة لا نرسم مسار الألكترون وإنما يستطيع الجهاز أن يعدّ الجسيمات التى تمر فيه .

(١) سبق أن شرحنا فى أربعة أعداد من الرسالة منذ العام أن الكون فى مجموعه محدود وأنه مثل أى مقفل على نفسه كما بينا أنه يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط تنفخ

والطريقة الثانية تسمى طريقة « غرفة ولسون » Chambre de Wilson ، ويمكن بها رسم مسارات هذه الألكترونات أو البوزيتونات ، وتبين أثرها على المادة التي تقابلها وسنشرح الطريقة الثانية في المقال القادم .

أما عداد الألكترونات فهو اليوم أبسط جهاز معروف في العلوم الطبيعية رغم سخر الظاهرة المراد قياسها ، ويتكون (شكل ٣) من أنبوبة معدنية داخلها سلك من النحاس المؤكسد وبطرف الأنبوبة سدادتان حيث لا يجاوز ضغط الغاز داخل الأنبوبة بضعة سنتيمترات من الزئبق ، وحيث يتفاوت المجال الكهربائي بين السلك والأنبوبة من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ فولت .

ويتصل السلك الداخلي إما بالألكترومتر ، وإما بمكبر ذي صمام[1]، فعندما يمر في الغاز داخل الأنبوبة أحد الألكترونات المكونة للأشعة الكونية يحدث عدد من اليونات[2] ، وهذه تحدث زيادة في الظاهرة الكهربائية ، وهذه الزيادة البسيطة يمكن بعد أثر المكبر للتيار أن تحدث حركة آلية من السهل أن تؤثر على جهاز آخر تسمع منه ضربة تدل على مرور أحد الجسيمات الكونية التي مرت في هذا الوقت داخل الأنبوبة .



عداد الألكترونات لجيجر وميلر

ش (٣)

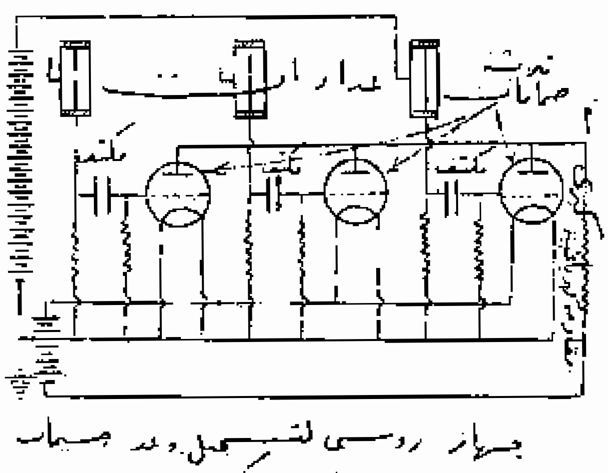
ومن تتح له زيارة معهد الراديوم في باريز في شارع « بيير كيري » ويصعد برج هذا المعهد يجد جهازاً لعد هذه الجسيمات الكونية حيث تملكه الدهشة عند سماعها

على أن مرور أي ألكترون سواء من الأشعة الكونية أو من أي أشعة راديومية ، يكون مصدرها المواد المستعملة في الجهاز نفسه أو المباني المجاورة ، يحدث هذه اليونات داخل الغاز التي يتبعها هذه الضربات

(١) الصمام هو لمبة خاصة كالمبات المستعملة في أجهزة الراديو

(٢) هي الأيونات وأفضل كلمة يونات لسهولة النطق كما قدمت

ولكي نميز بين الضربات الحادثة بسبب الأشعة الكونية من الضربات الحادثة بإشعاع آخر على ، فكر العلماء في وضع ثلاثة عدادات بينها ستائر تمنع مرور الجسيمات الأخرى التي تقل طاقتها عن طاقة الأشعة الكونية



جهاز روسى لتسجيل وعد جسيمات الأشعة الكونية

ش (٤)

وقد تم توصيل ثلاثة العدادات بحيث لا تسجل إلا مرور الجسم الذي يستطيع اختراقها معاً ، وبعبارة أخرى ، لا تسجل إلا جسيمات الأشعة الكونية (شكل ٤)

وهذه الطريقة كان لروسى الفضل الأكبر في نجاحها وسنأتي على شرح طريقة ولسون في المقال القادم .

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩



التذوق الفنى

فى الشرق والغرب

للأستاذ محمد السيد المويلحى

أحسب أننا مهما تغالينا فى التجنى على الغرب باتهامه بالإباحية ، وبالاندفاع وراء شهواته اندفاعاً لا يعرف حياء ، ولا يقيم وزناً لما اصطلحت عليه الأخلاق من قيود وحدود ، فلن نستطيع أن نقول إن هذا هو الواقع ، وإننا نصور حالة صادقة لما هو عليه من عادات ، ولما هو فيه من حرية تضفاضة سعى إليها سعياً متواصلاً حتى نالها . . . .

صحيح أن عاداته تختلف عن عاداتنا ، ونظرته إلى الحياة وإلى الأخلاق تتغير عن نظرتنا إليها ، ولكن ليس بصحيح أنه أكثر منا اندفاعاً وحباً لشهواته ونزواته . لأنه — على الأقل — يمتاز منا بأنه ينظم وقته تنظيماً دقيقاً : فيعطى لوطنه ، ولبيته ، ولعمله ما لا يعطيه لقلبه وملاهيه . ثم هو لا يعرف أبداً التسكع والخمول الذى يحملنا حملاً على أن يجلس الواحد منا طول يومه أو طول ليله على قهوة لا لعمل شىء يعود عليه بفائدة ، بل للنظر إلى المجهول أو للعب النرد أو للتفرج على حركة المرور . . . !

* * *

بل هو يمتاز منا بأكثر من هذا : يمتاز بتذوق فنى رفيع لا دخل للشهوة فيه أبداً . فهو حينما يسمع يسمع بأذنه فقط لا بقلبه ولا بعينه ولا (بجسمه) . كما هو الواقع عندنا !

لا يحكم على مطربة من مطرباته بأنها حلوة العينين ، دقيقة الشفتين ، مستقيمة الساقين ، ممتلئة الجسم ، رقيقة الاسم . . . الخ . بل يحكم عليها بأنها : قوية الصوت . لامعة النبرة . متمكنة من فنها ، واسعة فى ثقافتها ، مجتهدة فى عملها ، لا تعتمد فى معيشتها وحياتها إلا على صوتها ، لا تمنعها دمامتها من احتلال المكانة التى يؤهلها لها صوتها ، ولو كانت فى الذروة !

ثم لا تستطيع مطربة هناك أن تثبت إلا (بفنها) فحسب مهما بلغ جمالها وحسنها ، ومهما نضج جسمها واكتمل سحرها ، ومهما سالت واستسلمت ، وصادفت عظماء وطنها وحكامه فلن تكون أكثر من جميلة ساحرة ذات جسم ! أما أن تُفرض على شعبها كمطربة ، فهذا هو المستحيل الذى لن يكون ولن يعترف به الشعب ولو تبدلت الأرض غير الأرض

ثم إن بناته ونساءه لا يحكمن على مطرب من مطربيهن بأنه صغير السن ، جميل الشكل ، أنيق ، رشيق ، بل يحكمن عليه بقدر ما يتمتع به من قوة الصوت وسلامته ، وجمال الإلقاء ، والقدرة على التوزيع والتنويع ، والتوفيق فى إلباس الكلمات والمعانى (الموسيقى) التى تلائمها وتترجمها وتبرزها فى إطارها المضبوط الذى يجرى السلامة فى أعطافه ، ويشيع السحر منه !

ثم إن العواطف الشخصية والإعجاب بالكتفين العريضتين ، وبالذراعين المفتولتين ، وبالقوام السمهرى ، وبالوجه الصبوح ؛ كل هذا لا يجعل من الرجل عندهن مطرباً ، فإذا تم بعد هذا بمال أو بتقدير ، فإن هذا لا يكون إلا بشكل فردى شخصى لا يغرم فيه الشعب مليماً واحداً . . . !

لقد كان (بيتهوفن) رجلاً أصم ، و (فجنر) شخصاً دميماً . (وموزارت) مهملاً فى زيه . فهل منع هذا عنهم التقدير والخلود ؟ وهل وقفت عاهاتهم أمام فنهم القوى لتسد عليهم إعجاب الشعب بعملهم . . . ؟ ؟

(وآل جولسون) الأصلع ، (ومستنجيت) العجوز الشمطاء ، (وبول روبسون) الزنجى ، هل خُلِّدوا فى هذا العصر ، ولم

بُعدّروا لأنهم حرموا ما يبعث الحية في الأجسام عند الغربيين ؟

أي شرقي أو مصري بنوع خاص يشجع فناناً شرقياً أو مصرياً ذا عاهة ؟ ؟ وأي مصري الآن يقبل على سماع مطربة (كفيفة) بقدر ما يقبل على سماع المبصرة ، ولو كانت الأولى أقوى صوتاً ، وأتقن صنعة ، وأعظم أداء ؟

قد يقال إن المصريين قبل نصف قرن كانوا يزنون الغربيين في هـذا فكانوا لا يهتمون إلا بالفن وبالصوت بدليل أنهم رفعوا (عبده الحامولي) وزوجه (الماس) إلى ذروة التقدير والشهرة مع أنهما كانا من أشد الناس دمامة وقبحاً . . . وقد يقال إن العرب أنفسهم كانوا من أشد الناس تقديراً للفن وحده بدليل أنهم أفسحوا مكاناً محموداً (لابن سريج) الذي بلغ من قبحه ودمامته أنه كان يطرح على رأسه ووجهه غطاء حين الغناء ... حتى لا يفسده بشكله ...

وهذا صحيح لا مرية فيه ، وهذا ما امتاز به العربي عن الغربي من قرون إبان أن كان الموسيقار العربي يعيش معززاً مكرماً والموسيقار الغربي ممتهناً يعيش كما يعيش المنبوذ المحروم من أبسط مظاهر الحياة وهي نعمة التمتع بالإنسانية وبالوجود . إبان أن كان يقتل كما يقتل الكلب فلا يكون جزاء قاتله إلا ضرب (ظله) بالسيف ... !

قد يقال هذا وأكثر منه ولكن بحث اليوم ومقارنة الساعة لا تنسحب على الماضي وإلا كان هذا أدعى إلى تعنيفنا إذ كيف يستسيغ الإنسان هذا التطور الأخلاقي السريع الذي لا يسير إلا منحدراً ... ؟؟

لقد كان آباؤنا وأجدادنا من خمسين سنة أسلم منا حكماً وأعدل تقديراً ، وأضبط عاطفة ، وأسمى غرضاً

كانوا لا يعيشون لشهواتهم وجسومهم كما نعيش نحن الآن مع أنهم لو فعلوا ما استطاع اللوم أن يصل إليهم فقد كانوا أوفر منا مالاً وأقل انشغالاً بتهيئة وسائل المعيشة . وكانوا أقرب إلى (الفطرة) منا إليها ، وكانت جميع المحرمات والممنوعات التي تستلب الإحساس وتمنع التقدير السليم موفورة لديهم، ومع ذلك كله استطاعوا أن يقدروا الفن ويتساووا مع الغرب الآن ... أي أنهم كانوا يعيشون من نصف قرن كما يعيش الغرب الآن من حيث تفكيره وتقديره الموسيقى ... !

قد يكون للاحتلال نصيب ، وقد يكون للانحلال الأخلاقي الذي يتغلغل في عظمنا ونفوسنا نصيب ، وقد يكون لتلك النفوس التي طبعت بطابع الذلة بعد الحرب وبعد الثورة المصرية نصيب

تلك النفوس التي استساغت هذا اللون المسترخي وهـذا التخنث الذي يطفح من كل أغنية ، ثم تدرجت بعد هذا إلى السيطرة على بقية النفوس حتى أصبحنا ونحن على هذا الحال البغيض

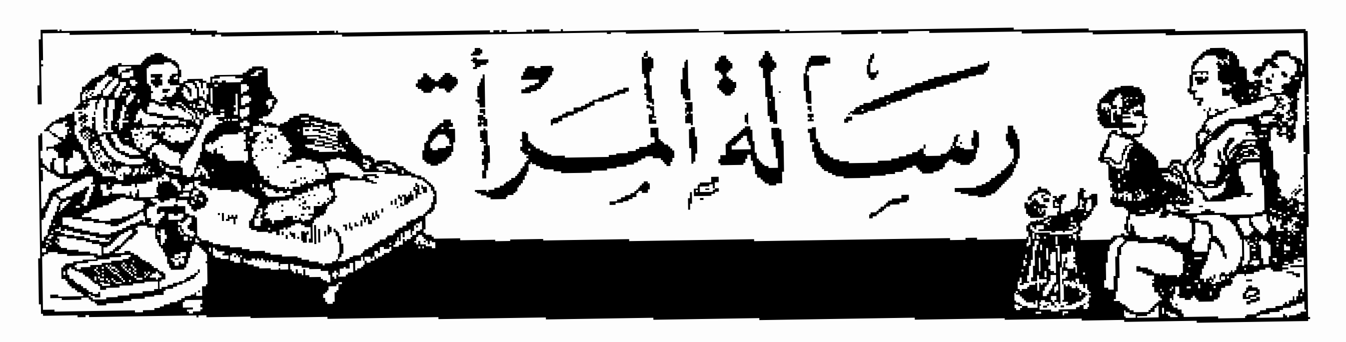
فالجمهور لا يشجع إلا الجميلة من المطربات أو الظريفة منهن أو كثيرة الأصدقاء ...

هبط معيار التقدير حتى أصبح منحصراً في الجسم وفي كل ما يرضي الجسم . أما الروح . أما الفن بصرف النظر عن كل شيء فلا ... !

ولهذا أصبح جونا الموسيقي جو جسم بحت ، وأصبحت تربته لا تنبت ولا تصور إلا الشهوة . أما الصوت ، أما الفن ، فهذه أشياء تافهة في عرف الذوق الشرقي عامة والذوق المصري خاصة !

محمد السيد المويلحي





آداب الإنجليز

مأدبة العشاء الرسمي

للآنسة زينب الحكيم

ترتيب المأدبة وما يترتب عليها

ولائم العشاء من أهم أشكال المزائم عند الانجليز . وإنه لمن الفخر في العرف الانجليزي أن يدعى الإنسان لوليمة عشاء أكثر من أن يدعى لوليمة غداء، أو لشاي بعد الظهر، أو لسهرة بسيطة في المساء، فإن وليمة العشاء غالية الثمن ، لايدعى إليها إلا علية القوم ، ولذلك فهي إكرام له قيمته وأهميته . وعلى ذلك لا ينتظر من الأفراد صغيري الموارد ومتوسطي الحال أن يقوموا بولائم كهذه . وليس معنى هذا أنهم لا يستطيعون عمل ذلك في محيطهم الخاص وإنما نقصد إلى أن المفروض في ولائم العشاء الرسمية أن تكون مستكملة اللوازم والمسرات والإكرام

الدعوة لوليمة العشاء

كيف ترسل الدعوى ؟

إما تكتب على شكل مذكرة ، أو تطبع على بطاقة ، وعادة ترسل قبل الميعاد بعشرة أيام إلى ثلاثة أسابيع حسب أهميتها بالنسبة للغرض الذي تقام من أجله ، وبالنسبة للفصل من السنة

فتكون مهلة الدعوة أطول إذا كان الفصل فصل عمل ، فتراعى ظروف الأفراد، ويقدر أن كل واحد عنده مشاغل كثيرة. وتكون المهلة أقصر في الأوقات الأقل مشغولية (وبالطبع لكل قاعدة شواذ)

فإذا كان يتراوح عدد المدعوين بين ١٢ و١٨ فمهلة أسبوعين أو ثلاثة كافية لأن تكون الدعوة بين أيدي المدعوين لكي يوجدوا لها وقتاً من بين أوقاتهم

وعشرة أيام إلى ثمانية عشر يوماً تكفي إذا كان عدد المدعوين ٨ — ١٢ شخصاً، وأسبوع أو ثمانية أيام كافية جداً لوليمة تقام لأصحاب قريبين من الجيران حيث الولائم قليلة . والأسرة التي ليس لها معارف يحسن بها أن تترك مهلة أطول لمدعويها خلاف الذين لهم معارف كثيرون وفي استطاعتهم اختيار مدعويهم من بينهم

وإذا كانت الوليمة صغيرة كأن كانت لستة أو ثمانية أشخاص فيمكن دعوتهم بالتلفون ، على أنه يحسن تأكيد دعوتهم ببطاقات أو خطابات

ويستطيع المدعو أن يحكم على نوع الوليمة كبراً وصغراً وأهمية من الزمن المتروك بين تاريخ إرسال الدعوة وميعاد الوليمة

الضيف الذي لا يبالي

الضيف الذي لا يبالي بعواقب الأمور هو الذي يهمل الرد على الدعوة الموجهة إليه ؛ فإن كانت بالإيجاب فليرسل رده فوراً ، فليس من الحزم ولا من المروءة أن تترك المضيفة حائرة غير متأكدة من العدد الذي سيلبي دعوتها ممن دعتهم

وليكن معلوماً ومقدراً أنه لن يزيد من مقدار الشخص الذي توجه إليه دعوة لوليمة عشاء أن يرفضها برفق . فإن هذه الدعوات يجب أن تلبى إلا إذا وجدت ظروف قهرية حقاً تمنع من قبولها ، وهنا يصح أن يعتذر عنها بكل أدب وأناقة ممكنين

أما الأفراد الذين يتركون اعتذارهم أو قبولهم الدعوة للوليمة لآخر الوقت ، يقل توجيه الدعوات إليهم تدريجاً ، وبذلك ينسحبون من المجتمع على الرغم منهم

السيدات والرجال فى الوليمة

يلاحظ فى الولائم المدعو لها سيدات ورجال ، أن يكون عدد الفريقين متساوياً بقدر الإمكان ، لأن من نظام ولائم العشاء الإنجليزية أن تحادث كل سيدة الرجل الذى صحبها إلى حجرة المائدة ويجلس عادة إلى يسارها ، وكذلك تتحادث إلى الرجل الذى عن يمينها — وبما أن هذا تقليد من التقاليد التى يجب أن تنفذ أثناء الجلوس حول المائدة فيتحتم أن يراعى الجميع آداب المحادثة ، وأن يكونوا جميعاً طيبى السمر والحديث . لهذا كان من أول واجبات صاحبة الدعوة أن تراعى تناسب أماكن الأفراد بعضهم إلى جانب بعض حول المائدة . وإذا لوحظ أن البعض لا يستحسن صحبة من جلس إلى جانبه فلينتقل إلى محيط آخر بلباقة حتى يمضى وقتاً سعيداً . غير أن التوفيق بين الشخصيات ليس سهلاً وبذلك يتعقد الموقف قليلا أحياناً .

بقيت مسألة هامة، تلك هى أن يراعى دعوة الزوج مع زوجه إلا إذا حالت ظروف طارئة دون ذلك . والمضيفة اللبقة هى التى تستطيع توجيه زوارها وزائراتها إلى الوجهة التى تؤدى إلى إنجاح وليمتها دون أن يشعر أحد بما ترمى إليه ، كأن تسوق الحديث إلى موضوعات نقاش وسمر تسر الجميع، ولا تتعرض للشخصيات ولا للأحاديث غير المرغوب فيها ، كالتى تعطى فرصاً للبعض لإظهار دخائل نفوسهم بالمناسبات

والفرد الذى يقبل الدعوة لوليمة عشاء ، يجب عليه أن يقدر مسئوليته بالنسبة لمضيفته ، ولهذا يجب أن يضبط نفسه ويؤدى واجباته نحو من كلف رعايتهن ولو لم يكن ممن كان لا يفضلهن لو ترك له الخيار فى مجالستهن

مواعيد ولائم العشاء

تختلف من الساعة ٧ر٤٥ إلى الساعة ٨ر١٥ ويقدم العشاء فى الثامنة والنصف فى الحالة الثانية . أما الحالة الأولى ٧ر٤٥ فهى المحببة لدى (الفئة المحافظة)

وهذه المواعيد تتبع بدقة، لهذا يتحتم على المدعوين أن يحافظوا عليها بدقة أيضاً . والتأخر عن ميعاد العشاء يعتبر من قلة الذوق ، كما لو وصل الزائر إلى بيت داعيه متقدماً أكثر من خمس أو ست دقائق قبل الميعاد المحدد .

استقبال الزوار والتعارف

يجب أن يكون المضيف والمضيفة على استعداد تام فى حجرة الاستقبال قبل الموعد المحدد بعشر دقائق على الأقل ويلزمهما التسليم باليد على ضيوفهما ، وعند وصول المدعو إلى المنزل المقصود لا يجب عليه أن يسأل إذا كانت ربة البيت موجودة فإن هذه مسألة لاشك فيها . وعند دخول الزائرة بهو المنزل ، تخلع معطفها وتسلمه للخادمة الموجودة به إلا إذا دعيت للذهاب إلى الحجرة الخاصة بوضع أمتعة الزوار ، فيمكنها ترك معطفها أو أى شىء آخر .

وفى الولائم الكبيرة يقف رئيس الخدم بالمنزل على الدرج الصاعد إلى حجرة الاستقبال إذا كانت بالطابق العلوى ، أما إذا كانت بالطابق الأول فيقف بالصالة أو المدخل ، ويفتح الباب خادم آخر ، ويأخذ خادم ثالث أغطية الرأس والمعاطف من الرجال .

أما فى حالة السيدات فالخادم فى خدمتهن كما تقدم .

وعمل رئيس الخدم هو أن يسأل الزوار عن أسمائهم ، ويجب أن تعطى له واضحة صحيحة ، وعليه أن يفتح باب (الصالون) ويذكر اسم الزائر عند دخوله إليه .

وعادة يدخل الزوج والزوجة أحدهما إلى جانب الآخر، أو متأبطى الذراعين ، وسواء دخلا متفرقين أو مجتمعين فإن الخادم يعلن اسميهما مقترنين فيقول مثلاً : السيد فلان والسيدة فلانة أو الآنسة فلانة .

وبعد أن يحيى أصحاب الدار زوارهم تجلس السيدات ؛ أما الرجال فيبقون وقوفاً يحادث بعضهم بعضاً ، أو يحادثون من يعرفونهم من السيدات . فإذا وجدت إحدى الزائرات أن لها من الحضور عدداً موفوراً تعرفه ، فلا يحسن بها أن تدور فى الحجرة لتسلم عليهم جميعاً . بل تسلم على القريبات والقريبين منها ، وتكتفى بتحية الأخريات السيدات بإحناء الرأس أو الابتسام ، وإذا كان لها معارف من الرجال فتحيتهم بالانحناء ، وإذا لم يكن يتحدث إلى أحد ، فعليه أن يذهب إليها ويحادثها .

التعريف

وإذا كانت الوليمة صغيرة فعلى المضيفة أن تقوم بتعريف الزوار بعضهم ببعض إذا لم يكن قد سبق لهم المقابلة ، أما فى الولائم

الكبيرة فهذا العمل غير ممكن ، ولو أن ربة المنزل تقدم بعض زوارها لبعض تدر ما يسمح لها وقتها بالمناسبات وملاءمة الفرص

ترتيب جلوس المدعوين حول المائدة

تجلس السيدة أكبرُ الحاضرات مقاماً إلى يمين رب الدار ، ويجلس الرجل الذي في مستواها إلى يسار ربة الدار

ويبقى الضيف واقفاً في مكانه على المائدة حتى يأخذ جميعُ المدعوين مقاعدهم ، وعليه أن يكون عالماً بالمكان الذي يجلس فيه كل شخص وأن يكون مكانه متناسباً وحالته ، وعلى رئيس الخدم أن يعلم ذلك أيضاً . أما في الولائم الكبيرة فتوضع بطاقة باسم المدعو في المكان المعد له على المائدة



مائدة عشـــاء

ويراعى في جميع الولائم صغيرها وكبيرها أن تجلس السيدة إلى يمين الرجل الذي يصحبها إلى حجرة المائدة . وفي ولائم العشاء لا يقصر المدعو حديثه على من صحبها فقط ولا هي أيضاً وإنما يكون التحادث لكليهما مع من يجلسون بجوارهما من الجانبين

متى يرحل الزائر

ينصرف الزائر نحو الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إذا كان ميعاد الوليمة مبكراً إلا إذا أقيمت سهرة موسيقية أو تسلية أخرى مما يجرى في العادات الإنجليزية (كالرقص أو اللعب بالورق) فيمكن إطالة المكث بحيث لا يتعدى الساعة الحادية عشرة والنصف إلى الثانية عشرة

عذر الانصراف

في حالة تناول زوجين عشاءهما في غير منزلها ، على السيدة أن تلاحظ الانصراف في الوقت المناسب فتملى إرادتها بلطف ودقة على زوجها فينصرفان دون قطع محادثة طريفة ، أو حديث في موضوع هام . وعلى كل زائر وزائرة أن يحيى المضيفة تحية الوداع ، ويسلم على باقي المدعوين إذا كانوا قريبين منها . ويكون السلام على أصحاب المنزل باليد ، ويمكن عمل ذلك مع المعارف إذا لم يترتب عليه إقلاق المجتمع وإلا فالتحية بالانحناء تكفى . ولا بأس من أن يذكر لربة الدار بعض جمل الشكر والاستحسان على الوقت الجميل الذي أمضوه عندها ، ويراعى الأفراد ألا يشغلوا ربة الدار أكثر مما يجب ، فإن عليها أن تجامل كل مدعويها ومن واجب كل أن يساعدها على ذلك

وعلى رب الدار أن يودع الزوار حتى باب الصالون أو إلى الصالة إذا استطاع ترك باقي الزوار منفردين .

تحية الانصراف

من العادات الإنجليزية تقديم تحية الانصراف ، فتوضع منضدة صغيرة خارج حجرة الاستقبال أو في مكان قريب منها ، ويكون عليها مشروبات باردة ، وسجاير تقدم وقت الانصراف

خلع القفازات

على كل سيدة تجلس إلى مائدة العشاء وهي لابسة قفازيها أن تخلعهما توًّا . فإذا كان خلع القفازين من يديها يستدعى بعض الوقت ، فعليها أن تضع فوطتها على حجرها حتى لا يقدم إليها الحساء وهي غير مستعدة

استخدام فوطة المائدة وآنية غسل الأصابع

على الزائر أن يبسط الفوطة ويضعها على حجره ، ولا تستعمل فوطة المائدة كناشف للأيدى فالغرض منها حماية الملابس أثناء تناول الطعام ، وتلمس بها الشفتان عند الضرورة القصوى فقط . وقد تجفف بها الأصابع برفق بعد وضعها في آنية غسل الأصابع بعد الفاكهة ولا تطبق الفوطة بعد تناول الطعام بل تترك على طرف المائدة

نجيب الحكيم



النازية فكرة مؤلف انجليزى – نقلا عن مجلة نيت يفنس

يقول الفريد روزنبرج وهو من أخصاء الفوهرر ، أن أول من مهد الطريق أمام هتلر مؤسس ألمانيا الحديثة هو رجل انجليزى

والحقيقة أن أول من أوحى فكرة النازية هو رجل من هامفشير وليس جندياً من أوستريا كما يزعمون . لقد كان لهذا الرجل نفوذ عظيم فى ألمانيا ما زال يزداد وينمو سنة بعد أخرى وقد كتب ثلاث تراجم ، ونشر عنه منذ توفى عام ١٩٢٧ ما لا يحصى من المقالات على صفحات الجرائد الألمانية بأقلام زعماء النازى المعروفين

من هو ذلك الإنجليزى العجيب ؟ ذلك هو هوستن ستورت تشمبرلن . وهو من الأسر الإنجليزية العريقة المعروفة فى انجلترا كما يتبين من اسمه . ومن المأثور عنه أنه كان يقول أول ما سكن ألمانيا (إن أبى انجليزى وأمى من اسكتلندة وجدتى من ويلز فيحق لى أن أقول إننى ابن حق لبريطانيا العظمى) وقد درس علم النبات والطب فى جامعة جنت وسمع أوبرا واجنر فى بيروت وقرأ جيتى وكانت فى ورسدن . وقد استولى عليه شغف جنونى بكل ما هو ألمانى ، من أدب إلى موسيقى إلى علم إلى فلسفة إلى صناعات وآلات حربية تدهش العقول

وأتيح له أن يتقن اللغة الألمانية أيما إتقان ، حتى أصبح يفضل الكتابة بها على الكتابة بلغة بلاده ؛ ومن ثم كان يكتب بها كل مؤلفاته

وقد هداه البحث إلى كتابة تاريخ لمالم أسماه أصول القرن التاسع عشر برهن فيه على أن خير الطرق لفهم شعب من الشعوب هى أن تفهمه فى ظل تاريخ المدنية وأطوارها

ودلل على أن كل رقى أو نجاح فى أوربا الغربية ، كان منشأه الجنس الآرى الذى نزح إليها فى الأصل من شمال الهند ، وانحدرت منه السلالة التوتونية الموجودة الآن . وزاد على ذلك ، أن المدنية الغربية لا يمكن الأخذ بناصرها إلا إذا سادها قبيل شديد من الجنس الألمانى العريق

وقد نال هذا الكتاب رواجاً عظيما فى ألمانيا بصفة خاصة . واشترى منه القيصر ولهلم الثانى ألنى نسخة ليجعلها هدايا لمن يريد وصار منذ ذلك الوقت صديقاً شخصياً لهوستن تشمبرلن

وفى سنة ١٩٠٨ أو سنة ١٩١٢ وقع هذا الكتاب فى يد شاب نكد ، لا عمل له فى فينا

وهنا ظهر الإنجيل الذى يبحث عنه أودلف هتلر الشاب !

فقد أوحت إليه نظرية هوستن تشمبرلن ، سر كل ما يحيط به من العار والشرور

متاعب إيطاليا فى الحبشة – ملخصة عن لورب نوفيل

نشرت صحيفة « كريتكا فاشستا » التى تصدر فى روما نبذة عن مركز القوة الإيطالية فى الحبشة نقلاً عن مراسلها الخاص جاء فيها : « لقد أصبحنا الآن فى حالة نستطيع فيها أن نصرح بأن مركز إيطاليا فى امبراطوريتها آخذ فى الانحدار . ويظهر هذا بجلاء فى أديس أبابا أكثر من غيرها يوماً بعد يوم . ويستطيع الإنسان أن يشعر بذلك فى أحاديث الناس وفيما تكتبه الصحافة نقلاً عن مراسليها وفيما ينقله إلينا أصدقاؤنا وزملاؤنا الذين يهتمون بشئون الحبشة »

ونحن لم يغب عن ذهننا بعد تلك الحملات التى وجهتها الحكومة الإيطالية إلى بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب الحبشية ، ولا تلك المزاعم الخرافية التى كانت تدعيها عن الكنوز والخيرات التى تنتظرها فى تلك البلاد ، مما جعلها تنجح فى تهيئة الرأى العام فى إيطاليا إلى استعمارها

فماذا وراء هذا التغير الملحوظ الذى طرأ بعد ثلاث سنوات من فتح الحبشة ؟

إن هناك تقارير لا تحصى عن المصاعب الحربية والاقتصادية التى تلاقيها إيطاليا فى بلاد النجاشى ، ونحن وإن كنا لا نستطيع

أن تنكر رسوخ أقدامها في تلك البلاد ، إلا أن التقارير التي ترد عن المصادر الإيطالية نفسها تدل على أن الحرص الحربي ضروري لإجراء أي عمل فيها ، وأن الحالة في إيطالية بعيدة عن المألوف .

ويظهر أن الناحية الاقتصادية في هذه المسألة أشد بكثير مما يتصوره العقل . وقد كتب الجنرال تروزي السكرتير الثاني للادارة الإفريقية في إيطاليا تقريراً على جانب كبير من الصراحة في هذا الموضوع ، وقد ظهرت مقالات شتى بهذا الصدد في الصحف الإيطالية على اختلافها .

ويلاقي الإيطاليون مصاعب لاحد لها في مجاراة الحالة الاقتصادية المألوفة لدى السكان .

ومن الغريب أنهم لم ينجحوا بعد في إحلال الليرة الورقية محل العملة الفضية القديمة التي كان يصدرها النجاشي باسم ماريا تريزا ، حتى اضطروا إلى إصدار قطع فضية جديدة من هذا النوع كان لها تأثير كبير في هبوط أسعار الليرة الإيطالية .

ولقد وضعت إيطاليا يدها على الشئون التجارية في الحبشة ، كما وضعت يدها على مصادرها الطبيعية ، ولكن تروزي يقول في تقريره : إن الأحباش لا يقبلون على شراء المصنوعات القطنية التي ترد من إيطاليا ، لأن القطن الذي تصنع منه ممزوج بأنسجة قصيرة تجعله أقل صلاحية من غيره ، ولقد سقطت هذه التجارة في الحبشة إلى درجة شديدة .

أما ما كانت تنتظره إيطاليا من الأرباح في تصدير البن ، فقد ظهر أن الأجر والتكاليف التي تدفع فيه تقضي على كل أمل في ذلك ، وهكذا الشأن في باقي المحصولات .

وقد يكون من المستطاع التغلب على مثل هذه الأحوال ، ولكن إيطاليا التي استنزفت في الحرب الأسبانية ، وأنفقت الأموال الطائلة في التسليح ، قد أعوزها المال والرجال لاستثمار تلك البلاد .

ومما يستحق الذكر أن العمال الإيطاليين الذين لم ينتقص عددهم سنة ٩٣٧ عن ١١٥ ألفاً قد نقصوا إلى ٣٨ ألفاً في مارس سنة ٩٣٨ و ٢١ ألفاً في شهر يوليه من العام المنصرم .

الحقيقة في المشكلة الفلسطينية ملخصة عن « زن ساين »

بدأت أسباب الثورة تظهر في فلسطين منذ بدأت التجربة الصهيونية فيها ، ولكن تلك الأسباب قد أخذت في الازدياد تحت تأثير الظروف الحاضرة ، وقد تزعزع النفوذ البريطاني نوعاً ما في تلك البلاد ، بعد أن أظهرت إيطاليا عدم احترامها لقواعد عصبة الأمم ، وفهم العرب الذين لا يقدرون المثل العليا التي تعلن في جنيف أن تلك السياسة السلمية تستند إلى القوى الحربية دائماً

ولقد أخذت علاقة العرب باليهود في فلسطين تضطرب باستمرار هجرتهم إليها ، وأعلنوا الثورة على القانون ليضطروا الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها نحوهم

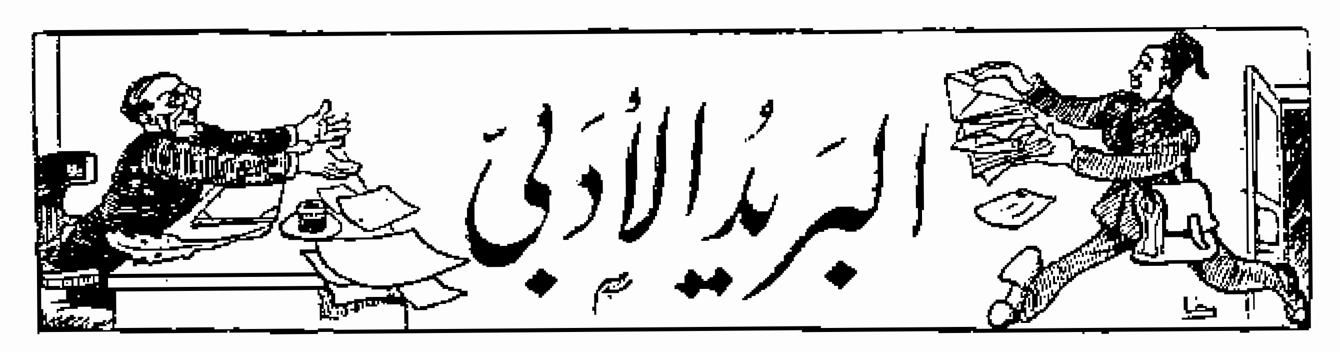
إن المرء ليتساءل عن الأسباب التي تدعو انجلترا إلى ذلك النظام الذي أنشئ لمصلحة اليهود ، مع ما في عملها هذا من إضعاف مركزها في تلك البلاد التي نالت فيها مزايا عظيمة بعد ذلك الانتصار الذي أحرزه لورد اللنبي لها ؟ إن حكم هذه البلاد كان من أهم نتائج الحرب العظمى ، فلماذا تضع انجلترا مركزها في تلك البلاد في ذلك الموقف الشائك الذي سبب لها كثيراً من الارتباك ؟ مع أن هذا النظام لم يطلبه الرأي العام في انجلترا ، ولم تناد به هيئة قوية في مجلس الجيش !

إن الرأي الحقيقي في هيئة الجيش لم يعلن بعد ، ولكن هذه الفكرة قد نبتت في وقت عصيب كانت فيه جيوش الحلفاء في أشد الحاجة إلى المساعدة المالية التي قدمها إليهم اليهود إذ كانت جيوشهم تحت ضغط عظيم . تلك الروح الطيبة التي ظهروا بها أمام العالم كان لها أبلغ الأثر في تصريح بلفور الذي جاء في نوفمبر سنة ١٩١٧

لقد كان بلفور سكرتيراً أجنبياً للحكومة الإنجليزية في ذلك العهد ، ولكنه كان أكثر اهتماماً بالحركة الصهيونية من كل شخص فيها . وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد طبعت بطابعه وظهرت تحت اسمه ، فقد أعلن أنها عملت برضا حكومة الحلفاء . وظاهر أن الحركة الصهيونية تشمل ألمانيا والنمسا وغيرها من بلاد العالم

ولقد تضمن هذا التصريح إشارة من الحكومة الإنجليزية بأنها تنظر بعين الاعتبار إلى تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، وأنها تبذل كل ما في وسعها في ألا يمس هذا الحقوق المدنية والدينية للمقيمين فيها من غير اليهود

ولا نذيع سراً إذا قلنا إن أكثر الأعضاء الذين وافقوا على ذلك لم يكن لهم رغبة ملحة في تلك التجربة ، ولكن بعض رجال



بين مصر وفرنسا

أصدرت جريدة « الطان » عدداً خاصًّا عن مصر ، وهو عدد نفيس يقع في عشرات الصفحات ، وفيه أبحاث طريفة عن وجوه النشاط الأدبي والاقتصادي ، وهو تحية يراد بها توكيد ما بين مصر وفرنسا من صلات

وهذا العدد مفتتح بكلمتين كريمتين :

أما الكلمة الأولى فهي رسالة وجهها حضرة صاحب الجلالة ملك مصر إلى فرنسا . وأما الكلمة الثانية فهي رسالة وجهها حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية إلى مصر . وافتتاح العدد بهاتين الرسالتين يمثل الاحتفاء بتجسيم عواطف المودة بين الشعب المصري والشعب الفرنسي

وفي الرسالة الأولى يقول حضرة صاحب الجلالة ملك مصر :

« أريد أن أقول لفرنسا : إني أعرفها وإني أحبها

« أعرفها في ثنايا تاريخها الطويل الشائق ، وفي مناحي آدابها وفنونها ...

« أحب علماءها وفلاحيها وصناعها . أحب أناقتها ، وأحب أيضاً بساطتها العائلية ، وأحب وطنيتها وكرمها

« أحبها في أحيائها وفي أمواتها : أمثال شامبوليون ومسبيرو ودي لسبس وسليمان باشا »

وفي الرسالة الثانية يوجه فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية تحية طيبة إلى مصر ويرجو أن تواصل جهودها في طريق التقدم الخلقي والاقتصادي والسياسي برعاية مليكها الشاب الذي تحفظ له فرنسا أطيب الذكريات

ونجد بعد ذلك تحية ثانية موجهة إلى مصر من وزير الخارجية الفرنسية ، وتحية ثالثة من وزير فرنسا في مصر ، ثم تحية موجهة إلى فرنسا من وزير مصر في باريس

وبعد هذه التحيات الرسمية التي تبلغ النهاية في الكياسة واللطف نجد كلمة المسيو دي كومنين عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ؛ وهي كلمة في غاية من الفتوية صوّر بها شمائل الملك المحبوب أجمل تصوير ، وفيها تجلت عبقرية الوصف في الأدب الفرنسي إذ يقول :

« نبيلٌ عظيم ، أشقر بعيون زرق ، له ابتسامة الفتاة وضحكة المملاق ... » .

الجيش رأوا أن الشعب اليهودي على ما هو معروف عنه من الذكاء والرق مشتت في بلاد العالم ، دون وطن يلجأ إليه ، فتحمسوا للفكرة على سبيل العطف في ذلك الحين

إن المسألة الفلسطينية أهمية أكبر مما يتراءى . وليس الأمر فيها على إثبات حسن نية اليهود أو سوء نيتهم ، أو انتشار التجارة البريطانية أو كسادها ؛ ولكن الأمر أهم من ذلك بكثير إذ أنه يتعلق بمركز بريطانيا في البحر الأبيض المتوسط

إن الانتصار الذي أحرزته إيطاليا في الحبشة قد أصبح يهدد المواصلات البريطانية بلا شك ، فإذا لم تعمل معها اتفاقات متينة واسعة النطاق في هذه الظروف فمن الواجب تقوية الأسطول الإنجليزي عدة سنين

فإذا كان الأمر كذلك فإن الأنظار لتتجه نحو فلسطين كقاعدة ذات أهمية لا يستهان بها للجيوش الإنجليزية

إن مركز بريطانيا في الشرق الأوسط قد أصبح مهدداً بعد انتصار موسوليني في بلاد الحبشة

فإذا كانت بريطانيا لا تستطيع أن تحكم فلسطين فإنها عند ذلك تكون أقل مقدرة من إيطاليا ، إذ تكون قد عجزت عن حكم بلاد أخذتها باعتراف عصبة الأمم

ثم نجد كلمة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عن مصر الحديثة ؛ وكلمة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا عن مركز مصر الدولى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور أحمد ماهر عن مركز مصر المالى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا عن التربية والمدنية ؛ وكلمة صاحب المعالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك عن الاتجاهات الدينية فى مصر الحديثة ؛ إلى آخر ما فى هذا العدد من شائق البحوث .

وقد وقفنا طويلاً عند الكلمة الشائقة التى كتبها سعادة صدّيق بك عن : « مصر وطن الإنسانية » . وقد كتبها بروح شعرىّ جذاب ، ودعا إلى زيارتها عشاق المعانى من أصحاب الأذواق

* * *

قلت : إن هذا العدد نفيس ، وإنه يؤكد ما بين مصر وفرنسا من صلات

فلم يبق إلا أن أنظر إليه نظرة نقدية : فما الذى فات من اهتموا بتنظيم هذا العدد من الطان ؟

كنت أحب ألا تغلب عليه هذه الصبغة الرسمية التى جعلت أكثر كتابه من الوزراء وأصحاب الشأن فى الميادين الاقتصادية والسياسية .

كنت أحب أن يكون فى هذا العدد مكان ظاهر للحياة العلمية والأدبية والاجتماعية . كنت أحب أن يكون فيه فصل عن الصحافة والتأليف ، وفصل عن تطور الحياة التعليمية فى المعاهد العالية ، وفصل عن تأثير مصر فى توجيه الحياة الأدبية والعلمية بالشرق ...

وذلك كان يوجب على مراسل « الطان » فى مصر أن يستعين بجهود المشتغلين بالصحافة والتأليف والتعليم . ولو أنه فكر فى ذلك لوصل هذا العدد إلى الكمال المنشود .

وهذه النظرة النقدية لا تمنع من تكرير الاعتراف بأن هذا العدد قدّم مصر إلى قراء « الطان » بروح مشبع بالحب والجاذبية ، فإلى تلك الجريدة العظيمة نوجه أصدق الثناء .

زكى مبارك

أبو تمام — والأستاذ عبد الرحمن شكرى

لا أظن أن أديباً عربيًّا عُنى بأبى تمام كما عنيت به ، فقد بالغت فى مطالعة ديوانه أيما مبالغة ، وجمعت أمثاله وشرحتها شرحاً طويلاً ، نشرت منه أكثر من ستين صفحة فى إحدى المجلات ، واخترت طائفة من شعره سميتها (جوهر الجوهر من شعر الطائى الأكبر) نشرت فى مجلة ، وربما كان (البيت الميمى) مما جمعت واخترت . ولما رجعت إلى الصفحة (٤٠٩) من طبعة الديوان التى أشار إليها الأديب الكبير (الأستاذ عبد الرحمن شكرى) — أدام الله نفع العربية بطول بقائه — وجدتنى قد خططت عند ذلك البيت خطًّا[1] علامة اختيار

وإذا ما شاء الله أن يضل العالم أو الأديب فى الأحايين فمن أين نظفر بهذه الثروة الأدبية اللغوية الضخمة الفخمة فى النقد ؟ وكيف تتجلى الحقائق التجلى الباهر التام ؟ وهل أغلاط نوادر أبى زياد الكلابى ، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى ، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى ، وأغلاط الغريب المصنف ، وأغلاط إصلاح المنطق ، وأغلاط الجمهرة ، وأغلاط المجاز لأبى عبيد ، وأغلاط كامل المبرد ، وكتاب التصحيف للحسن العسكرى ، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى ، والتنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، والفلك الدائر على المثل السائر[2] ، والجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ، وأغلاط أكبر لغوى وأكبر أديب[3] فى هذا العصر التى لم تظهر بعد . فهل كل ذلك إلا من فضل ضلال العلماء؟

وإن (وهماً) أفادنا تلك الفائدة ، وأدّى إلى ذلك التحقيق (الشكرى) الكريم المشكور — لخليق بما هو به خليق ...

* * *

جاء فى كلمة الأستاذ شكرى : « وأرجو أن يسامحنى الأستاذ الجليل فى هذا البيان » . أما بيان الأستاذ الكبير فهو مما يشكره مثلى كل الشكر عليه ، وأما سؤال (المسامحة) فى الجملة فإنى أسامح الأستاذ فيه هذه النوبة لإحسانه إلى العلم وإلىّ ببيانه

(القارئ)

---

(١) تفضل بزيارتى الأديب الفقيه الأستاذ داود حسان الفلسطينى وبحثنا فى خطب تلك الهفوة ، فأطلعته على هذا الخط عند البيت وعلى أمثاله فى الديوان ، وقد خططت ذلك منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، وشاعرنا أحمد شوقى يقول : « اختلاف النهار والليل ينسى »

(٢) لابن أبى الحديد وقد نشرت طائفة منه منذ حين فى مجلة الهلال

(٣) الشيخ اليازجى والأستاذ الرافعى وستظهر الأغلاط إن شاء الله فى وقت ، ولكل كتاب أجل

فى ذكرى الهراوى

فى أواخر الأسبوع المنصرم — والرسالة تحت الطبع — أقام أصدقاء (الهراوى) وإخوانه حفلاً لتأبينه بمسرح حديقة الأزبكية ؛ فخطب الدكتور منصور فهمى بك ، وأنطون بك الجميل ، وعبد الله بك عفيفى ، والأستاذ عبد الوهاب خلاف ؛ وأنشد الأساتذة الأفاضل : أحمد الزين ، وحسين شفيق المصرى ، وأحمد محرم ، والأسمر ، والماحى ، وناجى قصائد من الشعر

هذا خبر قد أذاعته الصحف اليومية ، ونشرت كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر . ولكنا نريد أن نشير هنا إلى معنى قد لحظناه من ذلك الحفل ؛ ذلك أن قيام مثل هذا التأبين إنما هو فى الواقع مظهر من مظاهر الوفاء والخلق الطيب عند الأحياء . ونحن إذ نسأل عن مدى هذا المظهر فى تأبين الهراوى وذكراه نجد الجواب لا يسرّ ، فإن الذين قاموا بتأبين الهراوى من إخوانه وأصدقائه الأوفياء قد توجهوا بالدعوة إلى رجال القلم والأدب فى مصر على اختلاف مذاهبهم وألوانهم ، ولكن دعوتهم مع الأسف لم تقع موقع القبول إلا عند الرجل النبيل معالى وزير الأوقاف، ومعالى وزير الحقانية ، والسيد الببلاوى، وصاحب الرسالة ، ونخبة من رجال الصحافة، وطلاب الأزهر والجامعة ودار العلوم إلى جانب أسرة الشاعر وإخوانه الذين حفلوا بتأبينه !

أما وزير المعارف الأديب ، وأما الأستاذ لطفى السيد الذى عمل معه الفقيد فترة من الزمن ، وأما رجال لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد كان الهراوى عضواً بارزاً فى جماعتهم ، وأما الدكتور زكى مبارك صديق الهراوى على مرّ السنين ، وأما رجال الأدب الذين يتولون زعامته ، ويزعمون رعايته ، فكل هؤلاء كان تأبين الهراوى ، بل قل كان الأدب أهون عندهم من أن يلبوا نداءه ويؤدوا واجبه !

(م . ف . ع)

كتاب حياة الرافعى

أخى الأستاذ سعيد العريان

أشكر لك تفضلك بإهدائى كتابك « حياة الرافعى » ، وأهنئك مخلصاً على ما أصبت من توفيق يكاد يكون منقطع النظير .

لقد قرأت الكتاب فى ثلاثة أيام ، وما أعرف أنى استمتعت بكتاب ككتابك — وفى موضوعه — منذ أمد بعيد . نعم ، أذكر كتاب « أناتول فرانس فى مباذله » وأنه من خير ما قرأت فى هذا الموضوع ، ولكن كتاب ترنس مبتذر الفصول ، متقطع الأبواب ولكتابك مزايا كثيرة ليست فى ذلك .

إنك لم تجلُ حياة الرافعى فحسب ، بل جلوت الاتجاهات الأدبية ، والعوامل النفسية — الخفية — فى أدب جيل كامل من الأدباء .

لقد عشتُ فى مصر مدة من الزمن تبلغ قرابة سبع سنوات ، وكنت أقرأ ما أقرأ حول الرافعى — رحمه الله — وخصومه — عفا الله عنهم — وله ولهم ، ولكنى كنت كمن يمشى فى ظلماء موحشة ، لا أكاد أتبين سرّ ما أنا بسبيله من نقد وتأليف ، وخصومات ، إلى أن جاء كتابك فأنار السبُل وأوضح المقاصد ، وردّ علىّ ماضى ما قرأت فى صورة نيّرة مبينة .

لا أريد أن أطيل عليك ، ولكن فى نفسى إعجاباً ذا شعب ما أستطيع أن أحبسه فى نفسى .

لقد وفقت فى الأسلوب بقدر ما وفقت فى استقصاء المؤثرات النفسية واستكشاف العوامل الخفية فى أدب الرافعى . وبذلك أصبح كتابك جزءاً من كتب الرافعى لا بد لمن يقرأها من أن يقرأه . بل هو من أدبه كالفصل الرئيسى من الرواية لا يمكن أن تتم وتستبين بدونه

وما أكتمك أنى كنت ممن لا يستهويه أسلوب الرافعى ، ولكن كتابك أوضح أن الرافعى كان نسيج وحده فى أسلوبه وتفكيره وميوله . وبهذا دفعت عنه ما اتهم به ، وأغريت الناس بقراءته بعد أن منحتهم بنفسه ، وكسبت له الإعجاب منتزعاً من أعماق القلوب

الحق يا أخى أنك وفقت ، فلك التهنئة الخالصة ، والشكر الجزيل والود الصادق من أخيك .

(القدس) حسين مرسى الحسينى

ذكرى الرافعى فى محطة الإذاعة المصرية

يذيع الأستاذ محمد سعيد العريان حديثاً عن المرحوم الرافعى فى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة من مساء يوم الأربعاء ١٠ مايو من محطة القاهرة ، لمناسبة الذكرى الثانية لوفاة فقيد العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى .

وموضوع الحديث : شخصية الرافعى فى أدبه .



كتابان

١ — آرائي ومشاعري : للآنسة فلك طرزي

٢ — أشعة ملونة : للشاعر أحمد الصافي النجفي

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

— ١ —

منذ عام أو أكثر التقيت بالآنسة فلك طرزي في دار الرسالة فتعارفنا ، وجلسنا نتحدث على طبيعة المجلس في تلك الدار الحافلة فأخذنا في كلام يتصل بالأدب والسياسة ورجال الأدب والسياسة ، وامتد بنا الحديث إلى الأخلاق والتقاليد والقومية وما يتفشى في شباب الشرق من داء العصر . وكانت الآنسة تتحدث وكنت أنا أستمع وأتأمل ، فظهر لي وراء ذلك الشخص الناحل ثورة جامحة ، ونفس طامحة ، وإحساس كبير مرهف ، واعتزاز بالقومية العربيـة ، والكرامة الوطنية ، تبديه الآنسة الفاضلة في صرامة وعنف حتى لقد فارقتها وأنا أشفق عليها مما هي فيه !

ومنذ أيام جاءني كتاب الآنسة — آرائي ومشاعري — عن طريق الرسالة لأقدمه إلى القراء ، فما كدت أجيل النظر بين صفحاته حتى رأيت فيه روح الفتاة كما رأيته بالعيان ، وتبينت لي شخصيتها بين السطور كما تبينتها بالنظر من قبل ، شخصية صريحة واضحة ، وروح — كما قلت لك — ثائرة متمردة على الناس وعلى نفسها ، فهي لا تهدأ ولا تقر ، وهي تكشف لك عن هذا الجانب من شخصيتها فتقول : إن نفسي لا تكاد تريح ذاتها من بعض ما تنوء به من أعباء الفكر ، حتى تشعر أن ما خرج منها ليس إلا جزءاً من العبء الذي يزخر فيها فيعاودها القلق والاضطراب ، وكلما حاولت التخلص منهما رجعا إليها بصورة أشد وأقوى ، لهذا فقلما تنعم نفسي بالراحة وتسعد بالاستقرار ، وإن هي بلغتهما فسعادتها بهما لا تتجاوز اللحظات ...

وماذا تكون آراء ومشاعر هذه النفس الثائرة وهذه الروح الشرود ؟

هي آراء صارمة تتخطى القيود والحواجز ، آراء تستمد الحجة من منطق القلب أكثر مما تستمده من منطق العقل ، وإنها لتشتد صرامة وعنفاً إذا ما انطلقت في جانب الوطن والقومية العربية ، فأنت إذ تسمعها في « يوم الأسكندرونة » وفي « موقف لبنان من الأقطار العربية » وفي تحيتها « إلى شباب النادي العربي » وفي حديثها عن « أثر المرأة في النهضة القومية » ثم أنت إذ تسمعها في هذه المواقف وأشباه هذه المواقف فأنما تسمع زئير الأسد الهائج لا بغام الظبية الشادية !

وهي مشاعر مرهفة تفيض بكثير من حر الجوانح والألم الممض ، فأنت إذ تنصت إليها وهي تتحدث عن « النفس الحيرى » و « الوفاء المفقود » و « الضحكة التي تخرج من أعماق النفس » وفي رسالتها « إلى ... » خليك منها الشعور الدقيق الرقيق ، والأناقة الفنية ، والنعومة الرائعة ، كما يقول الأستاذ خليل مردم

وهذه الآراء وتلك المشاعر هي زفرات متقطعة صعدتها الآنسة المهذبة في فترات مختلفة على صفحات الصحف المصرية والسورية فجاءت قطعة من نفسها وروحها تجري في أسلوب له رنين صوتها وجرسه ، وإن كان لا يخلو من هفوات في اللغة والنحو . وإذا كان للآنسة من الآراء والمشاعر ما لا يوافقها عليه القارئ فأحسبها قد تحللت من هذه المؤاخذة إذ سمت كتابها « آرائي ومشاعري » ، ولكل إنسان رأيه في الحياة ، وليس من الإنصاف أن يتحكم إنسان في شعور إنسان !

— ٢ —

قد يكون من الصعب على الباحث وخصوصاً فى الأدب العربى أن يتبين شخصية الشاعر واضحة صريحة فى قصائده ومطولاته التى يحفل لها بقوة الأسلوب، ومتانة القافية، ونباهة الموضوع. فكثيراً ما يضطر الشاعر فى مثل هذه المواقف إلى تملق العواطف فى الناس، أو مراعاة الرغبة عند حاكم مسلط، ولكنك قد تتبين شخصية هذا الشاعر على أجلى ما تكون فى مقطوعة يرسلها على هواه، أو أبيات صغيرة يقولها فيما بينه وبين نفسه!

وهذه الأشعة الملونة للشاعر أحمد الصافى النجفى هى نبرات متقطعة، وألحان قصيرة أرسلها فى لحظات متباينة؛ ونظمها فى ظروف مختلفة، وفى نواح متعددة من نواحى الحياة، وفى مكنونات النفس البشرية، ورسوم الأخلاق، وشواذ الكون، وغرائب البشر، وبالجملة فهى شعور الشاعر تجاه كل ما يحس وما يرى، وناهيك بإحساس الشاعر المرهف، ونظره الفاحص المستوعب، وكأن هذا هو الذى أطمع الشاعر فى أن يقول:

كل بشرى واجد نفسه ... ففيه أسرار الورى المودعه

وقد يكون فى هذا إسراف من الشاعر فى جانب قرائه، ولكنه لا شك ليس بإسراف فى جانب شخصيته هو، فأنا لا أعتقد أن كل إنسان سيجد نفسه فى شعر الشاعر الصافى، وإن كنت أعتقد أنك ستجد نفس الصافى فى هذا الشعر شفافة مترقرقة، وحسب الشاعر الخالد هذا، وحسب الصافى أن يقول فى الكشف عن نفسه:

عندى عيوب بنفسى سوف أظهرها
لأن إخفاءها مكر وتدجيل
والعيب يجدر أن يبدو ليعرفه ... كل الأنام فلا يمروه تضليل
إنى وإن كنت فى جهل له صغرت ... نفسى فأجهل منى العصر والجيل
بمعرضة أنا فى الدنيا وحين أرى ... بعض الورى فكأنى بينهم فيل

وأن يقول:

أنا طائر لا يرتضى الأرض مسكناً ... كأنى بين الجو أبحث عن عرش
ولكن دهرى قص جنحى وأرجلى
فما حال طير لا يطير ولا يمشى؟

ويعجبنى من الصافى روح متمردة على التقليد بين قومه فيقول:

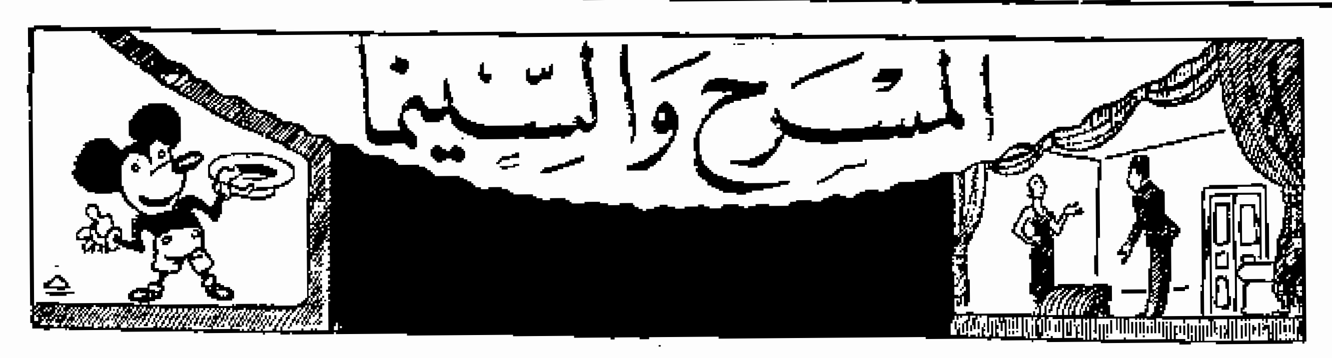
تقلد يا شرقى غيرك دائباً
فتحسب موجوداً وما أنت موجود
لقد سلبك التقليد عقلك كله
فشخصك موجود ورشدك مفقود
تقلد فى أكل وشرب وملبس ... ويغروك للتقليد فى الميل تسهيد
تقلد حتى فى انتحار وميتة ... معيشك تقليد وموتك تقليد

وإنه لينكر ذلك التقليد على نفسه فيقول:

كم سرت متبعاً غيرى لتهلكة ... وكم ندمت لدن أحسست بالألم
ندمت دهراً ولكن لم يفد ندمى ... وها أنا نادم دهراً على ندمى

وأحب أن أنبه الشاعر الصافى إلى العناية بالأسلوب، فإن قوة الأداء وروعته ضرورة لازمة للشاعر حتى يستطيع أن يؤثر، ولا شك أن اللفظ قوة تشد أزر المعنى وترفع من قيمته، ولكن الأستاذ يتهاون فى هذه الناحية حتى ليهمل حق اللغة فى بعض الأحيان، وحتى ليبدو أسلوبه مهلهلاً كالثوب الخلق. هذا وإنه ليحرص على أبيات تافهة لجاء ضوؤها فى الأشعة الملونة ضئيلاً باهتاً كما يقولون

محمد فهمى عبد اللطيف



قبل وداع الفرقة القومية

المـــــال والبنون

حديثنا اليوم عن رواية (المال والبنون) وهى واحدة من الروايات التى فاز مؤلفها بجائزة فى المباراة التى أقامتها الفرقة ، وعن حظ هذا المؤلف ، وقد مثلت له الفرقة فى هذا الموسم أيضاً رواية أخرى اسمها طبيب المعجزات

الكلام عن الروايتين لازم واجب ، أما الحديث عن الحظ فقد يجرنا إلى التساؤل ، وإلى الحدس والتخمين ، وإلى نقل ما يقوله الأدباء فى مجالسهم عن الحظ والمحظوظين ، وعن الوسائل التى توصل الأديب المغمور إلى الحصول على كلمة السر التى تجعل منكود الطالع سعيداً وإن كان جبل فى الأصل من طينة فيها جميع خصائص الشقاء وعناصر التعاسة . ولذلك سنضرب صفحاً عنه لأن غايتنا من نقد الفرقة كما قلنا هى تقويم اعوجاجها وذلك أمر مستطاع لا شك فيه . وإن رجال الفرقة فى زعمنا مهما تصامموا عن سماع كلامنا ، وتغاضوا عن نقدنا ، وأسرفوا فى تأويل البواعث على متابعة الكتابة فى إظهار العيوب التى أوصلت الفرقة إلى المنحدر الخطر ، ومهما حاولوا المكابرة فى احتمال سهام الحقيقة الجارحة فإنهم ولا بد راجعون إلى أقوالنا وإلى نصائحنا ، وإن الغفوة التى تثقل أجفانهم سيعقبها ولا شك يقظة وانتباه . ورب دغدغة أو وخزة تنجى من خطر محقق ، وسيان أكان المدغدغ أو الواخز حبيباً أو عدواً ، فضلاً عن الناقد الذى لا يعرف الحب والبغض فى الأدب والفن

لن نتكلم إذن عن حظ المؤلف بل نقصر كلامنا على الروايتين ، فالرواية الأولى « طبيب المعجزات » لم تتحدث الصحف عنها بخير ولا شر ، والإهمال أقصى عقوبة يجازى بها المؤلف الفاشل . وقد انفردنا بتلخيصها للقراء ولم نشأ أن نعلق عليها مخافة أن نرى بعين الهدم الذى يضعضع الناشئين أمثال مؤلفها الشاب ، ولكيلا يقال إننا نتخذ أمثلة عليا من أدب المسرح الغربى نقيس بها أعمالنا وما برحنا فى دور التكوين بعد . وسألخص رواية « المال والبنون » أيضاً فأضعها نصب عين القارئ ، وليسأل هو عن الباعث على تمثيل روايتين هزيلتين فى موسم واحد لمؤلف واحد؟

والرواية حكاية شاب طبيب يدعو الناس بحرارة إلى اعتناق مبادئه التى يؤمن بها ، وهى تتلخص فى أن البنين آفة الزواج ، وأن كثرة الأولاد مسغبة وفقر ، وأن منع الحمل يساعد على الزواج المبكر ، وأن تربية النسل متعة يجب أن تقتصر على الأغنياء ، وأن تكرار الولادة خطر على صحة الأم ، وأن لا بد من تنظيم الحمل ، ومن إيجاد مركز لرعاية الطفل ، ومن فرض ضريبة على العزاب

وهذا الطبيب صاحب هذه « التشكيلة » من المبادئ له أنصار من الفتيات اللواتى يستمعن إلى القائل لا إلى ما يقول ، وله معارضون ممن تعلموا فى مدرسة الزمن أن مثل أقواله هراء فى هراء ، والطبيب هذا يحب ابنة عمه ويرغب فى الزواج منها ؛ غير أن والدها يمانع فى هذا الزواج ويصرح باستحالته للطبيب ، وقد حضر ليطلب يدها من والدها ، لأنه قد اتفق مع عمه على تزويجه بابنته ، والفتاة تصغى إلى نصيحة أبيها ولا تلتفت إلى عواطف الشباب ونزواته وتقبل أن تتزوج من عم الدكتور وترفض الدكتور نفسه وتجابهه بهذا الرفض

وإذ يسمع الطبيب بانصياع الفتاة لأقوال أبيها ورضاها بالزواج من عمه الهرم يهرب من المدينة ويذهب إلى انجلترا فى بعثة يعود منها بعد خمس سنوات فيجد أن عمه قد مات وأن زوجة عمه رزقت غلاماً منه قد ورث كل ما تركه

ستيقظ الحب الهاجع فى نفسه فعاد يطلب الزواج من أرملة

عمه حتى رغم أن لها ولداً ، ولما تزوج منها أحب ولدها وصار يتمنى أن يكون له ولد من صلبه

كاشف زوجته بالأمر فناقشته فى آرائه وسبادئه فأعلن تنازله غضباً ، واقتادها إلى طبيب إخصائى قال له إن زوجته عقيم لا تلد

قامت قيامة الطبيب يسائل من أين جاءت زوجته بابن عمه وهى عقيم، وثارت ثورته عليها فيلمها ويصارحها بأنها امرأة عقيم مرذولة وأنها رضيت بالزواج من عمه لتستولى على ماله وتحرمه إياه . ويظهر أخيراً أن الولد الذى يقال إنه ابن عمه إنما هو ابنه قد استولده من فتاة خادمة أغواها وقد جاءت به جدته إلى هذه العائلة لترعاه ، أما أمه فقد ماتت بعد الولادة

لقد أعييت مبادئ الدكتور بطل الرواية « تشكيلة » وقد اتقن المؤلف حقاً فى جمل وقائع الرواية تشكيلة تشبه « ألبوم » طوابع البريد فيه مجاميع مرتبة ، هذه للدولة الفلانية ، وتلك للجمهورية العلانية ؛ أما قيمة الألبوم فلا يقدرها إلا الموسوسون العاطلون الذين ليس للوقت عندهم قيمة

أنا لا أقول إن تقدير رجال الفرقة القومية لهذه الرواية ولأختها التى صنفها المؤلف ومثلتهما الفرقة فى موسم واحد هو من نوع تقدير الهاوين لمجاميع طوابع البريد ؟ ولكنى أسأل هل الإفلاس حفزهم إلى تمثيل روايتين ضعيفتين عرضاً وموضوعاً ، أم أنهم قدروا فى مؤلفهما نبوغاً قصرت مداركنا المتواضعة عن فهمه ؟

تدل المسارح القومية الناس فى فرنسا وفى غيرها على تطور الروح القومى ، وعلى معيار فهمه للحياة ، فهل مسرحنا القومى بمديره اللوذعى ، ورجال لجنة القراءة ، وأبطال التأليف ، وما مثلته الفرقة خلال أربع سنوات يدل من قريب أو بعيد على تطور الروح القومى المصرى ، وعلى معيار فهمه للحياة ؟

اللهم كلا !

من المفهوم « أن حياة الأدب إن لم تتصل بنفس الأديب وروحه ، وإن لم يظهر وحيها فى آثار حياته كان الأدب فاتراً ضعيفاً . وهذا عين ما لمسناه من فتور وضعف فى روايتى المال والبنون وطبيب المعجزات اللتين طاب للفرقة القومية أن تتحف الناس بهما فى موسم واحد

ومن المعروف أيضاً عند الأدباء أن خير ما يكفل وضوح ذاتية الأديب فى أدبه أن يتصل ما يكتب بقلبه وعقله وكل حياته ، وليس ذلك بمستطاع إلا حينما نصف حياتنا وحياة آبائنا والبيئة التى أنبتتنا ، والوراثة الكامنة فينا ، فنصل بذلك حاضرنا بماضينا ، ونصور حياتنا . وحياة نومنا ويقظتنا ، وكل ما توحى هذه الحياة للعقل ، والقلب ، والحس ، والشعور . فهل فى هاتين الروايتين الموضوعتين ما يلمس هذه القواعد المعروفة عند كتاب الرواية ؟

المفروض أن الرواية إنما تصور الحياة تصويراً صادقاً تمليه العاطفة ، ويحلله العلم ، ولكن مؤلف رواية المال والبنون إنما ترك الحوادث للمصادفات ، ولم يلتفت ألبتة إلى تحليل هذه الحوادث ومراقبتها ، وتقدير احتمالاتها ، واستشعار المستهجن فيها والنابى عن الذوق ، والمتنافر مع الواقع ، والبعيد عن الحياة المصرية وبيئتها .

* * *

لم يبق مما تمثله الفرقة فى موسمها الحالى سوى رواية واحدة . وأرى لزاماً على ، خدمة للفرقة التى يحرص على بقائها كل أديب يتمنى الخير لأمته ويفاخر بنهضة هذه الأمة الفتية ، أن أواصل النصح فى إظهار العيوب التى رآها الناس رأى العين وشعروا بها بارزة فى أعمال هذه الفرقة التى أسموها قومية ، فإن أفلحت فى إيقاظ ما هجع من همم رجالها فذلك حسبى ، وإن لم أفلح فسأدأب حتى تفوز الفرقة القومية بالنجاح والظفر والمجد

ابن عساكر